الفصل الثالث

تربية الطفل فى الفلسفة الطبيعية

من الواضح أن الفلسفة الطبيعية ظهرت نتيجة للجو الاجتماعى السائد، حيث انتشر الظلم فى المجتمع وقاسى منه الكثير من الناس، من هنا كانت هذه المدرسة الفلسفية التى تعتبر على النقيض من المدرسة المثالية، حيث إنها تعتقد أن الطبيعة وحدها تكون بمثابة المدخل الحقيقى، أى أنه لا يوجد شئ فوق الطبيعة وما وراءها، وآخر من الطبيعة، وطبقاً لهذه الفلسفة تكون الحياة البشرية جزء من خطة الطبيعة، كما أن هذه الفلسفة لها تأثير شديد على النظرية، وفيما يلى سيقوم الكاتب بالتعرض لتعريف الطبيعية وأسسها وملامحها التربوية وذلك على النحو التالى:

تعريف الفلسفة الطبيعية:

حدد « جورج هاى ورد جويس »*George Hayword Joyce* الفلسفة الطبيعية، بأنها نظام سمته أو خاصيته البارزة هى استبعاد كل ما هو روحانى أو كل ما هو سام أو يفوق العقل من الخبرة من فلسفتنا عن الطبيعة والإنسان. »

أما « رالف بارتون برى »*Ralph Barton Perry* فيرى: أن الطبيعية هى العلم العام الفلسفى الذى يقوم بتطبيق نظريات العلم من خلال الفلسفة.

أما البعض يرى أن الفلسفة الطبيعية هى اتجاه عقلى ينكر وجود نظام يفوق أو يسمو على الطبيعة أو الخبرة الحسية.

أما « روسو» فقد استخدم كلمة الطبيعة فى إحساس واسع جداً فهى تعنى: العزل عن المجتمع- الطفل مخلوق طبيعى- التفاعل مع ظاهرة طبيعية.

ومن الملاحظ فى موضع آخر أن « روسو » استعمل كلمة الطبيعة فى معانى مختلفة، فتارة يقصد بها ما حمل عليه الإنسان من الغرائز والوجدانات والعواطف والميول، فإذا ما نادى « روسو » بوجوب استماع الإنسان لطبيعته، فمعنى هذا أن يعمل الإنسان على ما يدعو إليه وجدانه وترشد إليه عواطفه، فهذا خير له من الرجوع إلى التجارب والمخالطة.

وأحياناً يقصد بالطبيعة ما فى الوجود من جماد ونبات وحيوان، ويريد تلك التربية التى تأتى من الاتصال الشديد بما فى الوجود كله من الأسرار والقوى الكامنة، ويقصد بالطبيعة أيضاً معرفة صحيحة بطبيعة الإنسان الصادقة لا على شكلية المجتمع، وأحياناً يرى « روس » أن الطبيعة تعنى ليست سوى العادة.

أما « آدمز » *Adams* فيرى أن الطبيعية كمصطلح تعنى بسهولة تطبيق النظرية التربوية لأنظمة التدريس التى لا تعتمد على المدارس والكتب ولكن على التصرف البدوى للحياة التربوية.

يتضح مما سبق أنه رغم تعدد وتباين الآراء حول مفهوم الطبيعية إلا أنها كلها تؤكد على شيئين وهما العودة إلى حياة الطبيعة والبعد عن المجتمع المصطنع وطبيعة الإنسان وما تمتلكه من الغرائز والميول والاستعدادات المتباينة.

الأشكال المختلفة للطبيعية :

يرى بعض الكتاب والباحثين أن الطبيعية كمذهب فلسفى لـــه ثلاثـــة أشكال هى:

١- **الطبيعية المادية:** وهذا الشكل يعتقد أن قوانين الطبيعية المادية تحكمه قوانين الحياة الإنسانية، وأن الحقيقة لا توجد داخل الفرد إنما خارجه فى الطبيعة الشاملة.

٢- **الطبيعية الميكانيكية:** وهذا الشكل يعتبر الإنسان مجرد آلة وأنه لا يوجد له روح ولا معنى. أما العقل فهو الموضوع الذى يصنع الذرات والفضاء الساخن والمتحرك، فالمادة تحفظ الحركة والتغير. وهذا التغير محكوم بقوانين العلوم المادية، والإنسان فى نظر هذه الفلسفة يعتبر مادة وليس مجرد آلة محكوم بقوانين ميكانيكية فهو ليس مبتكر ولا يمتلك قدرات ولا هدف ولا اتجاه، وطبقاً لذلك فإن هذه الفلسفة تهدف إلى تدريب الإنسان كآلة جيدة وتحفظه فى حالات العمل الجيدة.

٣- **الطبيعية البيولوجية:** هذا الشكل من الطبيعية يبحث فى تفسير طبيعة الفرد فى أبسط صورها، وما تمتلكه، وطبقاً لهذه الفلسفة أن الإنسان يشترك مع الحيوانات الأخرى فى جانب واحد وهو الجسم ويختلف عنها فيما يملكه من هبات طبيعية والتى تشمل الغرائز والانفعالات والطباع والتى تعد مصادر لسلوكه، فإذا كان سلوك الإنسان يتفق مع غرائزه فإنه يشعر بالسعادة، وإذا لم يتفق فإنه يشعر بعدم الرضا والسعادة. والتربية هنا ستحاول تمجيد هذه الدوافع الطبيعية من أجل الأغراض الاجتماعية المرغوبة.

وبعد التعرض لأشكال الفلسفة الطبيعية كان من الضرورى إلقاء الضوء على رواد هذه الفلسفة.

رواد هذه الفلسفة:

يرى البعض أن من أهم رواد هذه الفلسفة:

- ديموقراطيس *Democritius* (٤٦٠ - ٣٧٠ ق.م)
- أبيوقراطيس *Epicurus* (٤٣٥ - ٣٥٥ ق.م)
- بيكون *Bacon* (١٥٦٢- ١٦٢٦ م)
- كومنيوس *J. A. Comenius* (١٥٢٩- ١٦٧٠ م)
- هربارت سبنسر *Herbart Spencer* (١٨٢٠- ١٩٠٣ م)

- هكسلى *Huxley* (١٨٢٠ - ١٨٩٥ م)
- روسو *Rousseau* (١٧١٢ - ١٧٧٨ م)

والبعض أضاف إلى ذلك أن من رواد هذه الفلسفة بستالوتزى، هربارت، مكدوجل، فروبل.

ورغم ذلك يتفق المؤرخون أن المؤسس الحقيقى لهذه الفلسفة هو « جان جاك روسو».

ولهذا فإنه سيقتصر فى دراسة تربية الطفل من منظور الفلسفة الطبيعية على آراء « روسو» باعتباره مؤسس الفلسفة الطبيعية، وآراء كل من « بستالوتزى » و « فروبل » باعتبارهما ممثلين للفلاسفة الطبيعيين فى القرن ١٩.

١- روســـو:

ولد « روسو» فى عائلة بروتستانتية تسكن جنيف عام ١٧١٢م وماتت أمه فى ولادته، وكان والده قليل الاستقرار فى حياته، ولم يعتن بتربيته بل عهد به لمعلم خاص لمدة سنتين درس خلالهما اللاتينية وكل ما يرافقها من مواد. وبعد ذلك بسنتين اشتغل عند حفار ولكنه وجد العمل مضنياً فهرب إلى فرنسا ثم اتجه إلى دراسة العلوم والآداب فصار يدرس آثار الكتاب المعروفين فى كل من فرنسا وإنجلترا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر.

وأضاف البعض أنه حاول تعلم فن النقش ولكن قسوة معلمه أبغضته هذه المهنة، لذا يقول « رسو» فى اعترافاته أنه بسبب هذه القسوة تعلم الكذب والسرقة واعتاد الجبن والمكر.

وكـان « روسـو» غريـب الأطـوار فـى حياتـه غـير مستقر فـى علاقاتـه مـع الأشـخاص، ومـن يـتفحص اعترافـات « روسـو» يجـد أن حياتـه العائليـة وعلاقاتـه الجنسـية كانـت ذا غرابـة أيضـاً فإنـه أودع أولاده الخمسـة إلى الميـتم ولم يعتنـى بتربيتهم بالرغم من دعوته الأكيدة بضرورة التربية العائلية إلا أنه كان غير مستقر.

كان « روسو » يعتقد أن الطبيعة خيرة، وأن الفساد كل الفساد إنما يأتى من المجتمع ولا حيلة لإصلاح الحياة الاجتماعية إلا بتربية النشء تربية طبيعية بعيدة عن مؤثرات هذا المجتمع.

ولهذا فقد هاجم « روسو » التعليم التقليدى السائد فى عصره ونادى بتربية الأطفال وفقاً للطبيعة وأن يكون الهدف منه المحافظة على الحالة الطبيعية الفاضلة للإنسان.

وقد سطع نجم « روسو » فى عالم الفكر حين نال جائزة فى مسابقة أقامتها أكاديمية ديجون فى موضوع حديث فى العلوم والفنون عام ١٧٥٠م.

أما عن مؤلفاته فمن الملاحظ أن « روسو » له العديد من المؤلفات، أهمها: رسالة فى العلوم والفنون- رسالة فى الاقتصاد السياسى- مقال فى التفاوت وعدم المساواة- كتاب العقد الاجتماعى الذى نادى فيه بالعدالة الاجتماعية والعدل والمساواة- كتاب الاعترافات الذى ضمنه الاختبارات السيئة التى تعرض لها فى حياته موضحاً الطبيعة الحقة للإنسان- كتاب أميل والذى يعد من أشهر كتبه بالنسبة لدارس التربية حيث ضمنه آراؤه التربوية وعبر فيه عن الطريقة المثلى التى يراها فى تربية الطفل منذ ولادته حيث أنه يحوى بذور الآراء التربوية الخاصة برياض الأطفال ووظيفة المدارس الأولية الحديثة والفكرة الحديثة عن التربية بأكملها.

وقد تأثر « جان جاك روسو » بآراء « مونتينى » لاسيما آراؤه فى تربية الحواس وآراؤه فى أن العقل السليم فى الجسم السليم.

يرى البعض أن « روسو » تأثر فى أفكاره وآرائه التربوية بما ورثه من والده من الخيال الشارد، خفة الروح والميل إلى الكسل والاندفاع وراء الشهوات، وقلة الاعتداد بالفضائل، وعدم الاستقرار وقوة العاطفة وحب الجمال، وما عاشه من

حياة كلها بؤس وشقاء فى طفولته ومراهقته، و جزء من شبابه ترتب عليها اتصال وثيق بالطبيعة والطبقة الفقيرة، وشعوره بالبون الشاسع بين الطبقات وما قرأه من كتب مثل « جمهورية افلاطون » و « رسائل جون لوك ».

كما يرجع الفضل إلى «روسو» بأنه وضع أسس الفلسـفة الطبيعيـة لتربية الطفل والتى تتمثل فى الآتى:

- اعتبار طبيعة الطفل أساس الدوافع الفطرية والرغبات الإنسانية.
- إن التربية عملية ذاتية تبدأ من الدوافع الفطرية إلى العمل.
- الرغبة فى البحث عن قوانين الطبيعة.
- استهداف التربية إلى تكوين الفضائل.
- رفض التربية الشكلية.
- التأكيد على أهمية الجوانب الوجدانية والخلقية.
- بناء الاتجاه العلمى فى التربية.
- ازدهار النزعة الاجتماعية فى التربية واهتمامها بتربية الطفل.
- تأكيد أهمية الجمال فى التربية وتكوين الأخلاق.
- انتقال مفهوم التربية من المجتمع إلى الطبيعة.
- حق الطفل فى السعادة، وأن تؤخذ ميوله ورغباته واهتماماته المرتبة الأولى فى التربية.

وهذه الفلسفة التى وضعها «روسو» لها العديد من المزايا، من أهمها:

- اهتمامـه بقيمـة الخـبرة المباشـرة والـتعلم عـن طريـق الحـواس، وخاصـة فـى السنوات الأولى من تربية الطفل، والتقليل من الاعتماد على الكتب والأفكار المجردة، حيث إن الاعتماد على الأمور المجردة أو المفاهيم المجردة لا يناسب الأطفال ولا يحقق الأهداف المرجوة من تعليمهم.

- الاهتمام بميول الأطفال على أساس أن التعلم عملية طبيعية، الغرض منها مساعدة الطفل وتشجيعه على النمو، وأن الاستفادة من ميول الأطفال يساعد على التعلم.
- نادى «روسو» بأهمية التدرج فى التعلم، وأهمية مدى النضج فى تعرض المتعلم لما يراد له ولما يريده هو من خبرات وتجارب أثناء تعلمه.
- أبرز أهمية الجانب الوجدانى فى عملية التعليم، وأن تنمية شخصية الطفل لا يقتصر فيها على الجانب الفكرى فقط، وإنما لابد أن ترتبط بما يجعل المشاعر والوجدان ينمو نمواً سوياً يمكن الإنسان من التصرف السليم فى مواقف الحياة.
- الاهتمام بالعمل اليدوى من أجل إكساب الطفل قيمة احترام العمل اليدوى، وهذا ما تنادى به الاتجاهات الحديثة فى التربية.

ولكن رغم هذه الإيجابيات فهناك بعض المآخذ التى تؤخذ على هـــذه الفلسفة، منها:

- أنه أراد أن يتربى ابنه على الابتعاد عن الناس وعن المجتمع، وأن يلقى به فى أحضان الطبيعـة الخالصـة، ومـن الصـعب أن يعـيش الطفـل فـى الطبيعـة الخالصة بدون بشر، لأن الفرد لا يوجد إلا فى مجتمع، ولأن الفرد لا يحقق ذاته ولا يكون فكرته عن نفسه إلا فى ضوء فكرته عن الآخرين من بنى جنسه.
- التقليل من أهمية الكتاب يعد أمراً لا يؤخذ بعين الجد خاصة بعد أن أصبح الكتاب، وسيلة فعالة لا يمكن الغنى عنها فى عملية التعلم.
- تقسيمه لمراحل النمو لطفله أميل وتربيته إلى أقسام منفصلة وجعله لكل مرحلة خصائصها ووسائل تعليمها يعد أمراً غير مقبول علمياً ومنطقياً حيث أن مراحل النمو متداخلة ويصعب فصلها.
- تأجيل الجانب الوجدانى حتى المراحل الأخيرة من مراحل تربية أميل، فالواقع يشير أن الجانب الوجدانى موجود مع الطفل طوال مراحل حياته.

وأن الرغبـة فـى الاتصـال بعـالم المحسوسـات لا تقتصـر علـى المراحـل الأولى فحسب، وإنما تستمر كوسيلة من وسائل المعرفة طوال حياة الإنسان.

- اعتبار ميول الطفل وقدراته بأنها تطهر تلقائياً وذاتياً. المعروف أن هذه الميول والقدرات ليست فطرية، وإنما تتكون نتيجة لتفاعل الإنسان واحتكاكه ببيئته وبالعالم الخارجى.
- تصوره لفكرة الجزاء الطبيعى لا يمكن تحقيقها للأسباب التالية: ترك الطفل لكى يلقى جزاءه الطبيعى قد يعرضه للهلاك. إن نتائج الجزاء لا تقتصر على الفرد نفسه الذى قام بالعمل، وإنما تتعداه إلى المجتمع أى قد تلحق الضرر بالآخرين.

٢- بستالوتـــزى:

ولد « بستالوتزى » فى زيورخ عام ١٧٤٦م ومنذ طفولته عاش فى اليتم فبعد وفاة أبيه عوضته أمه عنه بعطفها الشديد، وقد التحق بالجامعة ودرس اللاهوت ثم تحول إلى القانون كى يدافع عن الفقراء ثم تحول إلى تعلم الفلاحة والزراعة، فتح بيته فى نيوهيف بعشرين طفلاً يقوم على تربيتهم فى الحديقة ويلحقوا صيفاً وداخل البيت شتاءاً.

ويشير البعض أنه يعد من أشهر المربين فى أوربا فى القرن ١٩ عرف بلقب (أبو الفقراء) لاتصاله الوثيق بالأشقياء والفقراء وعطفه الدائم عليهم، فهو بحق مصلح اجتماعى قبل أن يكون مصلحاً تربوياً. فقد كان يؤمن بأن التربية هى الوسيلة التى تجعل من المجتمع مجتمعاً مستنيراً ومطهراً وسامياً، وكان يهتم بالطفل ويؤمن بأنه يمتلك الكثير من القدرات والامكانيات، حيث يقول أن كل شئ موجود فى الطفل، وما على المربى إلا أن يعرف كيف يستخرجه بالمحبة والصبر، وبالمحبة نجد الوسيلة دائماً.

وأضاف البعض أن اسم « بستالوتزى » ارتبط بتطور التعليم الشعبى والعمل من أجل الأطفال كممثل للحركة الاجتماعية، عاصر الظروف التى عانى منها التعليم الابتدائى فى موطنه سويسرا حيث كان التعليم يتسم بالطبقية، وكان نصيب الفقراء قليلاً من التعليم، ولهذا وهب « بستالوتزى » حياته لمداواة أمراض المجتمع وتخليص الشعب من البؤس، وآمن بدور التربية فى إصلاح المجتمع.

وقد اهتم بتربية وتعليم الأطفال، ومن أهم آرائه فى تربية الطفل ما يلى:

- أن مبادئ التربية وأسسها يجب أن يبحث عنها داخل الطفل، وأن تبدأ منه هو لا أن تفرض عليه من الخارج.
- إن طبيعة الطفل تشتمل على قدرات جسمية وعقلية وخلقية ويجب تنميتها.
- التربية لها وظيفتان وظيفة إيجابية ووظيفة سلبية، فالوظيفة السلبية للمربى تتلخص فى إزالة العقبات التى تعترض الطفل حتى يتيح أمامه الفرص للنمو، أما الوظيفة الإيجابية فتظهر فى إثارة المتعلم لتدريب قواه فهو يمده بالوسائل والفرص المناسبة ثم يرشده إلى الصواب.
- الملاحظة أساس التربية ومصدر التعلم، والوسيلة هى الحواس، فالنمو الذاتى يبدأ عندما يتأثر العقل بالأشياء الخارجية ويقصد بها الإحساسات، وعندما يعيها العقل تتحول إلى مدركات حسية وتسجل فى العقل على أنها إدراك الأفكار، وهذه هى المعرفة الأولية التى تصبح أساساً لكل معرفة.
- التلقائية والنشاط الذاتى ضروريان فى تعلم الطفل وتمنحه الثقة فى النفس والاستقلالية.
- يجب الربط بين المعرفة والعمل، فالقدرات العلمية تعتمد على العادات التى تكونت من تكرار وتدريب قوى المتعلم أكثر من اعتمادها على مجرد المعرفة

البحتـة، والهـدف الأساسـى فـى تربيـة الطفـل هـو الجمـع بـين النشـاط التربـوى وتعلم حرفة يدوية.

- يجب أن تؤسس كل تربية وتعليم على تأمل الطفل وعلى خبرته الذاتية، وهذا هـو الأسـاس الصـحيح لكل معلوماتـه، فالحقيقـة تسبق الـزمن، والشئ يسـبق الكلمة، والكلام والتعبير اللفظى قبل القراءة، والرسم قبل الكتابة.
- يستطيع الطفل بعد أن رأى وتأمل، وبعد أن أصبح العمل جزءاً من خبرتـه، وأن يصـفه بكلامـه وأسـلوبه، وعلـى قـدر وصـفه مـن حيـث شمولـه أو نقصـه، عمقـه أو سطحيته، تستطيع أن تحكم على دقة تأمله وبالتالى معرفة معلوماته ومعارفه.
- تتطلـب الخـبرة الشخصـية أن يتقـدم عقـل الطفـل مـن القريـب ومـن الـواقعى اللذين له بهما احتكاك واللذين يستطيع أن يتعامل معهما، وهذا يعنى أن أى معرفة عندما تقدم للطفل يجب أن ترتبط سيكولوجيا مع مرحلة نموه.

وهكذا يتضح من الآراء التى نـادى بهـا « بستالوتزى » لتربيـة وتعليم الأطفـال تركز على أن التربية لا تفرض على الطفل من الخارج، وأنه يجب أن تكون التربيـة لكل جوانب الطفل سواء الجسمية والعقلية والخلقية، التأكيد على أهمية الملاحظة فى تربيـة الطفل، الاهتمـام بالنشـاط الذاتى للطفل وتلقائيته فى تعلمـه، الاهتمـام بالتدريبات العملية وربط العملى بالنظرى فى تعليمه.

أمـا بالنسبة لحياتـه العمليـة والمهنيـة فيرى بعـض المربين أن « بسـتالوتزى » عاش ثمانى عشر سنة منكباً على أعمال أدبية، رأس تحرير صحيفة ثورية، كتب مقالات تدور حول الإصلاح الاجتماعى (ساعة الناسك الليلية) الذى حوى مائة وثمانين اقتراحاً تربوياً (لبونارد جرترود) وتدور قصته حول حياة سكان الريف وأسباب انحطاط مستوى معيشتهم، ونادى فيه بضرورة تنمية أخلاق الطفل، ثم كتب (كريستوفر وليزا) وضمنه بعض المبادئ التربوية، ثم كتب مؤلفاً عنوانه

(بحثاً فى أثر الطبيعة فى نمو الجنس البشرى)، وكتب أيضاً (كتاب الأمهات) وهو مؤلف لاقى نجاحاً كبيراً، وفى عام ١٨٢٦م كتب مؤلفه الأخير (رقصة المذبوح) وفى عام ١٧٩٨م أشرف على ميتم (ستانز) وفى عام ١٨٠٠م أنشأ مؤسسة تعليمية فى برتو، ألقى إليه الإشراف على مدرسة فى برجدروف، هاجر إلى أيفردون وأنشأ بها عام ١٨٠٥م معهداً جديداً طبق فيه مبادئه التربوية، وفكرة «بستالوتزى» هى أن التربية فعل حب ومحبة، ولكن يجب أن ترتكز على معرفة بسيكولوجية الطفل، وهذه المعرفة التى ابتدأت فى العائلة واستمرت فى المدرسة يجب أن ترتكز على التجربة والعمل والأحاسيس وعلى احترام الطفل وأخيراً هاجر إلى مدينة صغيرة اسمها كلندى، ثم رحل إلى نيوهيف حيث توفى عام ١٨٢٧م.

يتضح من هذا العرض أن «بستالوتزى» يحتل مكانة هامة بين رحال التربية، وقد أوضح بعض المربين أن هذه المكانة الهامة التى احتلها «بستالوتزى» فى التربية ترجع إلى:

- أنه أوضح المبادئ التربوية التى نادى بها «روسو» إذ وضعها موضع التجريب والتطبيق داخل جدران المدرسة.
- أنه نبه إلى أن مشكلة التربية يجب دراستها من ناحية علاقتها بنمو عقلية الطفل.
- أنه وضع أسس التربية فى المدرسة الابتدائية الحديثة حيث كان مهتماً بصفة خاصة بالتعليم الابتدائى وحاول تحسين طرق تدريس المواد الدراسية الأولى.
- أنه لفت الأنظار إلى تربية الطفل يمكن أن تتقدم أو تتأخر بتأثير طرق التدريس.
- أنه أثر فى إعداد المدرسين للتعليم الابتدائى فى إنجلترا وأدى إلى كثير من الإصلاحات فى إعداد المعلمين والمدارس الابتدائية فى ألمانيا.

- إن طريقته كانت تتبع فى المدارس التى انتشرت فى أواخر القرن ١٩ وأوائل القرن العشرين.
- أنه نادى بالاعتماد على النشاط فى التعليم الابتدائى بدلاً من الاعتماد على الحفظ والتسميع.
- إن أفكاره وآراؤه كانت قائمة على الأساس التجريبى، مما أتاح له فرصة تعديل الأفكار والآراء التى أخذها عن غيره وصبغها بطابعه الخاص.

هذا بالإضافة أن «بستالوتزى» وضع مجموعة من المبادئ فى تربية الصـــغار واستخدام الحواس فى تربيتهم، وذلك على النحو التالى:

- أن الأسرة تعد أهم مؤسسة تربوية للصغار، إذ هى مركز لممارسة المحبة والتعاون للصالح المشترك.
- أن مبادئ التربية وأسسها يبحث عنها داخل الطفل وتبدأ منه هو ولا تفرض عليه من الخارج.
- أن النمو المتناسق لكل قدرات الفرد جسمية، عقلية، خلقية، هو هدف التربية.
- الملاحظة والخبرة الشخصية أساس التربية والتعليم، وهذا هو الأساس الصحيح الذى يستمد منه كل معلوماته.
- يجب أن تربط الدراسة بالملاحظة واستعمال الحواس.
- ليس الغرض من التربية الأولية ملء عقول الأطفال بالمعلومات، وإنما الغرض منها إنماء القوى العقلية وإيقاظ المواهب الكامنة فيهم.
- يجب أن ينتج العلم قوة، وأن ينتج التعليم مهارة، فليست الغاية الرئيسية فى تعليم الطفل جعله يحصل على المعرفة والمواهب بل زيادة قواه العقلية وتنميتها.
- أن يحترم المدرس شخصية التلميذ، حيث أن فردية التلميذ مقدسة.
- يجب أن تكون المحبة أساس العلاقة بين المعلم والمتعلم ومحور النظام المدرسى.

- يبدأ النمو الذاتى عندما يتأثر العقل بالإحساسات، وعندما يعيها الطفل تتحول إلى مدركات حسية، وتسجل فى العقل على أنها إدراك وأفكار وهذه هى المعرفة الأولية التى تصبح أساساً لكل معرفة.
- فى أى نوع من فروع المعرفة يجب أن نحلل مادة التعليم إلى أبسط أشكالها ثم يبدأ بالسهل ثم الأكثر صعوبة، والانتقال يكون تدريجياً ومتمشياً مع نمو الطفل أى يكون مرتبطاً سيكولوجياً مع نمو الطفل.
- يجب أن يمكث الطفل طويلاً عند كل جزء من أجزاء المعرفة حتى يسيطر عليها سيطرة تامة.

٣- فروبل:

ولد « فردريك فروبل » فى إحدى قرى ألمانيا عام ١٧٨٢م، وماتت أمه وسنه تسعة أشهر وترك لرعاية الخدم، وكان أبوه قسيساً منهمكاً فى عمله بعيداً عن أطفاله، ثم تزوج أبوه وتطلع إلى خير، ولكنه رزق بطفل اغتصب كل عطف زوجة أبيه، وأصبح « فردريك » دخيلاً، فأمضى معظم وقته فى حديقة البيت يتأمل الطبيعة.

ظل « فروبل » حتى سن العاشرة ولم يدخل المدرسة، وفى المدرسة الابتدائية قضى أربع سنوات، وخلال سنوات أخرى تعلم الهندسة ومساحة الأرض وصيانة الشجر عن طريق الممارسة العملية، ثم التحق بالجامعة بعد عدة محاولات عام ١٧٩١م.

وبعد موت أبيه عام ١٨٠٢م التحق بوظيفة كتابية فى مصلحة الغابات، زار معهد « بستالوتزى » فى « أفردون »، ثم زار جامعة برلين عام ١٨١٢م، أسس المعهد العالى للتربية، أنشأ معهداً لمساعدة الأطفال، ثم ماتت زوجته، وتخير اسماً لهذا المعهد « روضة الأطفال »، وقد جعله للأطفال ما بين الثالثة والسابعة من عمرهم، وكان قد أطلق عليها اسم « المدرسة القائمة على غرائز الأطفال الفعالة »، كما سماها أيضاً « مدرسة التربية النفسية »، وبعد ذلك أطلق عليها اسم « حديقة الأطفال ».

وكان « فرويل » يتميز بنزعته الدينية الكاثوليكية. فنادى بتعليم الدين عن طريق تهذيب العواطف، وكان يهتم بأهمية اكتشاف الأطفال لعالمهم الخارجى. وكان يرى أن اللعب أفضل وسيلة وأسلوب يقدم به الأطفال لاكتشاف هذا العالم، ولعل هذا من بين العوامل التى دفعته إلى افتتاح أول روضة أطفال فى ألمانيا.

وقد ركز «فروبل» فلسفته فى رياض الأطفال من منطلق دينى، وقد حـــدد مجموعة أهداف للروضة، وهى:

- تهيئة الطفل وتعويده على الجو المدرسى حتى يصبح أكثر تكيفاً بالمدرسة الابتدائية.
- تنشيط عقل الطفل من خلال أنشطة الروضة، ومساعدته على استخدام أشكال التفكير المختلفة.
- الاهتمام بالتذوق الفنى المتمثل فى الغناء والموسيقى والرقص التعبيرى والرسم والتلوين.
- الاستفادة من طاقة الطفل وحاجته إلى الحركة، وتوظيف مواقف اللعب لاكتساب الخبرات العقلية والمهارات الحركية والاتجاهات والقيم.
- تنمية المهارات الاجتماعية عند الطفل من خلال التعرف على أفراد جماعته والتوفيق بين مصالحه الذاتية ومصالح الجماعة، والتدريب على مهارات التعاون والنظام والالتزام.
- استثارة رغبة الطفل للاستفهام وحب الاستطلاع.وتهيئته لمهارات القراءة والكتابة والحساب.
- الاستفادة من الطاقات الإبداعية عند طفل هذه المرحلة من خلال توفير البيئة المناسبة له، وتوفير حرية اللعب الهادف المنظم.

يتضح من ذلك أن « فروبل » فى تحديده لأهداف رياض الأطفال ركز على مجموعة من الجوانب منها، الجانب النفسى للطفل وهو مساعدته على التكيف فى المرحلة الأعلى لرياض الأطفال، الجانب العقلى والذى يتم من خلال تنشيط العقل

ومساعدته على التفكير، وكثرة تساؤلات الطفل، والجانب الجمالى من خلال تذوق الطفل الفنى لألوان الفنون المختلفة، والجانب الاجتماعى من خلال تنمية المهارات الاجتماعية وتدريبه على التعاون مع الجماعة وتدريبه على النظام وممارسته، وتدريبه على الالتزام، وإتاحة الفرصة لظهور الإبداع من خلال إعطائه الحرية الكاملة فى اللعب الهادف.

ولتحقيق أهداف رياض الأطفال يرى «فروبل» أنه لابد من استخدام مجموعة من الأنشطة المناسبة للطفل والتى من أهمها: الهدايا والألعاب مثل الكرة والمكعب وألعاب الفك والتركيب وألعاب التجوال والتمثيل والبناء وألعاب تنمية الحواس، الأنشطة العملية كقطع الورق وتشكيل الصلصال والرسم والتكوين وغيرها من الألعاب اليدوية، ألعاب الأم مثل الغناء والمشى والتجوال وملاحظة الطبيعة والنبات، الاهتمام بالنواحى الدينية والخلقية وتهيئة الطفل لتعلم مبادئ القراءة والحساب، وربط المنهج بحياة الطفل الاجتماعية، والتركيز على اللعب، والنشاط الحر النابع من حاجات الطفل ومطالب النمو.

كما يرى أن هناك مجموعة من الأسس التى تقوم عليها رياض الأطفال حددها فيما يلى:

- تنمية الحواس التى هى أساس تنمية الطفل جسمياً وعقلياً وانفعالياً.
- مبدأ اللعب لأنه يمكن من خلاله تنمية وتهذيب الحواس.
- العامل الخلقى بصورة عامة، والدينى منه بصفة خاصة أساسى فى تربية الطفل فى مرحلة رياض الأطفال.
- النشاط الذاتى والتلقائى للطفل يعتبر من أهم أركان التربية فى رياض الأطفال، لهذا يجب ألا نحمل الطفل على القيام بعمل لا ينبع منه تلقائياً لأنه يكون ضد طبيعته وبعيداً عن فطرته.

- التعاون اتجاه اجتماعى يجب الاهتمام به فى رياض الأطفال والعمل على تنمية صلة الطفل بأقرانه شئ حيوى وضرورى.

وبهذا يعتبر « فروبل » رائد حركة رياض الأطفال فى العالم، وصاحب الفضل الأول فيها، والواضع لفلسفتها والمبادئ التى تقوم عليها مناهجها.

يتضح من ذلك أن هناك مجموعة من العوامل التى أثرت على فكره وقد حددها بعض المربين على النحو التالى:

- نشأته الريفية وتأثره بطبيعة الريف الجميل.
- تأثره بـ « بستالوتزى » ونهج نهجه وتأثر بخطواته، وطبقها خاصة على تربية الأطفال الصغار.
- قراءاته المختلفة عن الطبيعة الإنسانية والطبيعة الإلهية وكون عنها مفاهيم مليئة بشطحات التصوف الحالم.
- تأثره ببعض المفكرين الألمان مثل: فختة، وهيجل، كما تكونت آراؤه فيهم بطابع ميتافيزيقى أغرقه فى الغائيات وابعده عن الملاحظة والتجربة.
- وأضاف البعض إلى هذه العوامل بعض العوامل الأخرى والتى لها تأثير فى فكر «فروبل» هى:
- حرمانه من العطف والحنان منذ الصغر وقضائه معظم الوقت فى التامل والتفكير.
- تربيته فى كنف والده وخاله الذين كانا من رجال الدين مما نتج عنه شعوره الدينى القوى وغلبة العنصر الروحى على فلسفته وأفكاره.
- دراسته الجامعية العلمية.
- ملاحظته لأوجه النشاط المختلفة للأطفال والتغيرات التى تطرأ على مظاهر نموهم وخبرته الطويلة فى مهنة التدريس.

ومن أهم مؤلفات « فروبل » - كتاب تربية الإنسان - وقد وضع « فروبل » فى هذا الكتاب مبادئه فى التربية، حيث يرى « فروبل » أنه إذا أرادنا أن ننمى حواس

الإنسان فلابد من استخدامها وتدريبها، وإذا أردنا أن ننمى الإنسان الكامل فليدرب الإنسان بكامل أعضائه وحواسه، فهو بهذا يؤكد على أن التدريب يكون ذا فائدة إذا حدث فى الوقت المناسب الذى يتفق مع طبيعة الإنسان ومستوى نموه.

ويوجد مبدأ من مبادئه له علاقة بالحواس سماه قانون التناقض، حيث يرى أن الأشياء تكون أكثر وضوحاً لو ارتبط اللون الأبيض باللون الأسود، وبالتالى تكون المعرفة أكثر ثبوتاً.

كما يرى أن حاسة السمع تكون أول حاسة تنمو لدى الطفل وتتبعها حاسة النظر التى تساعدها حاسة السمع، ونمو هاتين الحاستين يساعد الوالدين والمسئولين عن تربية الطفل على ربط الأشياء بمسمياتها، أى وصل الكلمات بمرادفاتها من الرموز، فتصبح هناك صلة بينما يراه الطفل وما يعرفه.

ومن المبادئ التى نادى بها « فروبل » قانون الوحدة الذى حاول من خلاله أن يفسر جميع مظاهر الوجود الحقيقى، حيث إن الإنسان من خلال اشتراكه واندماجه فى شتى مظاهر الحياة حوله يحقق وحدة الذات، وهذه الذات فى حالة نشاط دائم نابع من الداخل أطلق عليه النشاط الذاتى.

ويعتبر « فروبل » اللعب أهم ظاهرة فى نمو الإنسان فى مرحلة الطفولة لأن النشاط الذاتى التلقائى الذى يمثل الدوافع الداخلية، فاللعب من وجهة نظره هو أكثر الأنشطة روحانيةً فى مرحلة الطفولة، حيث إنه يمنحه السعادة والحرية والرضا والراحة الداخلية والخارجية.

كما أوضح أن هناك علاقة بين اللعب ونمو الأطفال العقلى والبدنى والخلقى، فالألعاب الرياضية المصاحبة بأغانى الهدف منها تنمية وتقوية عضلات الطفل، تربية قوة الملاحظة، تنظيم الألعاب وإكساب الأطفال انشراحاً عاماً، أما رياضة اليدين فالهدف منها تنمية اليدين وإكسابها دقة فى الحركة، تربية الحواس عامة وقوة البصر خاصة، اكتساب معرفة الأشياء وكيفية استعمالها، إدخال معنى

الحجم والعدد وغيرها فى الذهن. وبالنسبة للمحاورات والأشعار والأغانى فالهدف منها إيقاظ الشعور الدينى باختيار مواضيع مناسبة، التأثير فى التربية الخلقية.

ومن المبادئ أيضاً مبدأ الاستمرارية فى التربية، حيث يرى « فروبل » أن نمو الإنسان يترتب على التمرينات التى يدرب عليها وقت الحاجة إليها والتى تتمشى مع طبيعة الإنسان وقدراته فى المرحلة المعينة من النمو. فلكل مرحلة من النمو قدرات خاصة تتناسب مع التدريبات التى يدرب عليها، وهذه القدرات مستمرة فى النمو فهى تنمو إلى مستويات أعلى فى اتجاهات مختلفة، وأن هذه التدريبات ينبغى أن تتمشى مع هذا النمو، وأن هذا الاستمرار فى النمو وتصعيد التمرينات إلى مستويات أعلى وأكثر تنوعاً هو ما يسميه « فروبل » أن هناك اتصالاً بين أنواع المعرفة، إذ أن المعرفة تأتى للطفل كوحدة وفيما بعد تجزأ فى المدرسة إلى علوم مختلفة.

ومن مؤلفاته أيضاً أغانى للأمهات وللحضانة. ويرى « فروبل » أن الغرض من هذه الأغانى هو مساعدة الطفل على استعمال جسمه وأطرافه وحواسه، كما يساعد الأمهات أو من يقوم مقامهن على الشعور بواجبهن تجاه أطفالهن، كما يرى أنه يمكن أن تتحقق من خلال هذه الأغانى بعض الأهداف الروحية والأهداف الخلقية حيث إنه من خلال الأغانى يمكن تهذيب الطفل.

وبعد هذا العرض الموجز عن بعض رواد الفلسفة الطبيعية والتعرف على العوامل التى أثرت على أفكارهم، فإنه سيتم تناول بعض قضايا وجوانب تربية الطفل من منظور الفلسفة الطبيعية، معتمداً على بعض آراء هؤلاء الرواد باعتبارهم ممثلين لها.

الأسس التى تقوم عليها الفلسفة الطبيعية :

حدد بعض المفكرين الأسس التى قامت عليها الفلسفة الطبيعية وذلك على النحو التالى:

- الإيمـان بالطبيعـة والطبيعـة الإنسـانية، تـؤمن الفلسـفة الطبيعيـة بالطبيعـة الإنسانية وطبيعة الفرد،وقد انطلقت من مبدأ احترام طبيعة الطفل الخيرة التى نادى بها « روسو» على أساس أن كل شئ يبقى خيراً طالماً لم تمسسه يد الإنسان، وإنما ترك لبد الطبيعة وبالتالى يجب أن يترك الطفل ينمو وتأمن له الحرية للقيام بما يرغب دون معوق لتفادى أية اضطرابات نفسية.
- الإيمان بحاضر الإنسان أكثر من مستقبله وذلك انطلاقاً من أن حاضر الإنسان هو نقطة انطلاق لمستقبله فنمو الطفل ينطلق من الحاضر إلى المستقبل.
- الاعتقاد بأن نفس الإنسان خيرة فى تكوينها مبرأة من الشر عندما هبطت من علبائها وتنزلت على الإنسان من قدسيتها الإلهية.
- الشئ الوحيد الحقيقى فى هذا الكون هو الطبيعة.
- الطبيعة هى مفتاح الحياة وإن كل شئ نعمله هو جزء من الطبيعة.
- كل شئ فى هذه الحياة يتحرك حسب قوانين الطبيعة.
- أن كل فرد يعد أهم من المجتمع، لذلك فإن أهداف المجتمع تعد ثانوية إذا ما قورنت بأهداف الفرد.
- الأنظمة الاجتماعية مقبولة لأنها تمنع الفوضى وليس لأنها جيدة.

يتضح من ذلك أن الفلسفة الطبيعية تؤمن بالإنسان كقيمة فى حد ذاته، وأيضاً الطبيعة من أجل حياة أفضل للفرد، وأن النفس البشرية خيرة فى حد ذاتها، كما تؤمن بحاضر الفرد والاهتمام به، وهذا يعنى أن الفلسفة الطبيعية تطلب من التربية أن تتيح الفرصة للطفل للنمو حسب قوانين نموه الطبيعية، وبذلك تقوم الفلسفة على العديد من الأسس التربوية والتى سيتم توضيحها على النحو التالى:

الملامح التربوية للفلسفة الطبيعية :

من الملاحظ أنه بظهور الفلسفة الطبيعية ظهرت نزعة حديدة فى التربية تتميز بدعوتها إلى تقوية صلة الفرد بالطبيعة، وإعطائه الحرية الكاملة فى التربية، وإنطلاقاً من ذلك تميزت الفلسفة الطبيعية بملامح تربوية تميزها عن غيرها من الفلسفات الأخرى يمكن توضيحها كالآتى:

- يعد الطفل المحور الرئيسى للتربية إذ أنه يجب أن تفهم طبيعة الطفل أولاً ويسمح لها بكشفها طبيعياً دون تدخل من الآخرين مثل المدرسين والوالدين، ولهذا يقول « مونرو » أن الضرر بالنسبة لتنمية الأطفال صحياً يتأتى من خلال تدخل الكبار فى أنشطتهم الطبيعية.
- التأكيد على طبيعة الفرد تقود إلى دراسة علم النفس، ولهذا اتخذ « روسو » كرائد فى مجال التربية النفسية، وأن علم النفس الطبيعى له صلة فى طبيعة الطفل الحقيقية والتى تكون بالضرورة حب الحرية والتى تدور حول المفهوم الأساسى لمجالات التربية الطبيعية، فالطفل يسمح له أن يذهب بدوافعه وميوله ورغباته، رغم المخاطر كما ينبغى أن يجيب بأى طريقة ليتعلم بطريقة أفضل عن طريق الخبرة الاجتماعية، وبناء على رغباته، كما أن التعليم والتعلم المناسب يطلب عن طريق سلوكه الخاص، ومن الخطأ تحذير الطفل طوال الوقت.
- كما أصر « بستالوتزى » على أن تبدأ التربية من الطفل، واتخذ من حاجاته وميوله محوراً للعملية التربوية، وربط عمل الجسم وعمل العقل، وعمل جاهداً على ترقية نمو الطفل الخلقى والعقلى والجسمى، فالعمل التربوى تبعاً لوجهة نظره لا يمكن أن يأتى من الخارج بل يجب أن يصدر من الداخل أى عن النمو الذاتى للكائن.

- أن تعمل المدرسة على توفير الحرية الكاملة لنمو الطفل وأن يكون الطفل حراً فى اختيار الأنشطة وأن تعمل المدرسة على توصيل الماديات والامكانيات بكثرة وتنوع كبير لكى تواجه اهتمامات الطفل المتنوعة.
- المدرس ليس مجرد ملاحظ للتنمية الطبيعية للطفل وإنما يجب أن يزود بيئة الطفل بالأدوات الضرورية اللازمة لتحقيق هذه التنمية.
- وقد أضاف البعض بعض الملامح التربوية للفلسفة الطبيعية، يمكن عرضها على النحو التالى:
- حرية الطفل فى التعبير عن نفسه وطبيعة ذاته هى الهدف الأساسى للتربية، فالطفل يعمل ما يهواهُ، ما يميل إليه دون أن يقيده رقيب أو يقوم على سلوكه ضابط، والطبيعة وحدها هى التى تتولاه بالرعاية وتقف منه موقف المهذب والمثقف الأكبر ولا داعى لتوجيهات المربى ورقابته إلا من وراء الستار وبقدر ما يستجيب للطفل نفسه إذا سأله عما لا يفهم فهو لا يتدخل إلا إذا ناداه الطفل ولا يتبرع بالشرح والتفسير إلا بناء على دعوة صريحة منه.
- التربية عند الطبيعيين عملية سلبية لأن الإنسان لا يتدخل فيها، ولذلك يحرمون من العقاب البدنى، ويرون أن استعمال العقاب يقتل نمو الطفل ويفسد طبيعته إذ يؤدى إلى الكبت وتربية العقد النفسية لديه، مما يكون له أسوأ الأثر على تقدمه ونهضته وسلوكه الطبيعى العام.
- المشاكل الجنسية لا وجود لها فى الفلسفة الطبيعية، إذ ينظر الطبيعيون إلى مسائل الجنس نظرتهم إلى الأمور العادية فلا قدسية ولا هالة ولا تقاليد معينة نحوطها بالشك والريبة. وبناء عليه فليس من الطبيعى عندهم أن نفضل بين الجنسين فى مراحل التعليم، لأن الطبيعة تحمل فى ذاتها ومعناها عنصر الاختلاط، وأن الاختلاط يبعد حياة الأفراد عن الشذوذ الجنسى حتى أن بعض

رواد هذه الحركة يرون أن بعض الآباء فى مبالغتهم وتزمتهم فى اتباع قواعد الخلق والدين فى تربية أبنائهم يخلقون المشاكل الجنسية لهم.

- اللعب أساسى ومهم فى التربية الطبيعية لأنه طريق الطبيعة فى التهذيب والتعليم، ومنه تظهر الطبائع جلية، وتتضح الميول والاستعدادات ويشبع كل فرد حاجاته الإنسانية.

وبعد أن تم عرض الملامح التربوية للفلسفة الطبيعية فإنه سوف يتم تناول مفهوم التربية من منظور الفلسفة الطبيعية.

مفهوم التربية طبقاً للفلسفة الطبيعية:

يرى بعض الباحثين أن التربية طبقاً للفلسفة الطبيعية تعنى ما يلى:

- اكتشاف القوانين الطبيعية وصياغتها وتطبيقها فى العملية التربوية، وكان هذا المعنى فى عقول الواقعيين الحسيين مثل « بيكون » و « كومنيوس »، وقد فشلت النظرية الطبيعية لهؤلاء الكتاب بسبب الاستدلالات والبراهين الخاطئة.
- التربية طبقاً للقوانين الطبيعية لتطور الإنسان.
- العودة للطبيعة كاتجاه مضاد لكل ما هو صناعى.

أما بالنسبة لبعض رواد الفلسفة الطبيعية، فمن الملاحظ أن مفهوم التربيـــة عندهم جاء على النحو التالى:

يرى « روسو » أن التربية هى عملية مدى الحياة والتى تبدأ من الميلاد وتنتهى بنهاية الحياة. أى أنها تنمية من الداخل وليست مفروضة من الخارج.

كما يرى « أن التربية هى العودة إلى الطبيعة ».

ويرى بعض المربين أن العودة إلى الطبيعة عند «روسو» تحتمل أكثر من معنى وضحها على النحو التالى:

أولاً: أن العودة إلى الطبيعة تعنى الرجوع إلى الخبرة الشخصية أكثر من الاعتماد على السلطة والتقليد بمعنى اكتساب المعرفة من مصادرها الأولية بدلاً من الاعتماد على ما توصل إليه الآخرون من نتائج.

ثانياً: إن العودة إلى الطبيعة، تعنى العودة إلى الواقع، حقيقة أن المعلم يعتمد فى التدريس على اللغة والرموز ولكن هذه الرموز ينبغى تحويلها إلى واقع لتحديد محتوى لها.

ثالثاً: أن العودة إلى الطبيعة تعنى أن تحل البساطة محل التعقيد فى التربية، ففى تدريس الجغرافيا مثلاً ابتكرت المدارس الخرائط والرسوم والكرة الجغرافية وكل هذه الأمور تقف حائلاً بين الطفل وبين الأشياء الحقيقية، بمعنى آخر فإن التربية فى المدارس تطمس الحقيقة أو الطبيعة وإصلاح التربية يقتضى التخلص من هذه المعوقات والعودة إلى البساطة وإلى الطبيعة.

رابعـــاً: الرجوع إلى الطبيعة يعنى أن تخضع الطبيعة للقوانين الطبيعية للنمو الإنسانى وطبيعة هذا النمو هى التى تشكل هدف التربية ومحتواها.

خامساً: العودة إلى الطبيعة يعنى معاملة الطفل باعتباره حيواناً إنسانياً وفقاً لقوانين نموه ونمو مختلف قدراته ونضجه.

وفى ضوء ذلك يلاحظ أن أهم المبادئ التى نادى بها «روسو» فى كتابه «إميل» هى: الإيمان ببراءة الطفل وبخبرته، طبيعته الأصلية، وجوب مراعاة هذه الطبيعة فى تربية النشء، وجوب أن تكون المواد التعليمية مناسبة لمرحلة النمو التى يمر بها الطفل، الاهتمام بالطبيعة كمصدر أول من مصادر المعرفة، اعتبار مرحلة الطفولة مرحلة مميزة لها خواصها التى تختلف كلية عن خواص مرحلة الرجولة.

من هنا يتضح أن «روسو» يؤكد على التربية التى تعتمد على الخبرة والممارسة العملية والاحتكاك بالأشياء بدلاً من التربية التى تعتمد على الألفاظ والتلقين، كما استبعد التعليم من الكتب وتعليم الحقائق المجردة التى لم تقع فى

إطار المشاهدة والاختبار، ورأى « روسو » أن كتاب الحياة وكتاب الطبيعة هو ما يجب أن يدرسه الطفل، لذلك فقد قال « روسو »: « لا ينبغى أن يكون هناك كتاب لدى الطفل غير كتاب الدنيا من حوله، ولا ينبغى أن يكون هناك تعليم أو إرشاد ألا ما تلقنه إياه الحوادث والوقائع، أن الطفل الذى يقرأ ولا يفكر فهو يقرأ فحسب لأنه لا يتعلم حقاً بل هو يحفظ ألفاظاً فحسب ».

وطبقاً لوجهة نظر « روسو » فى التربية الطبيعية، فإن بعض المربين يرى أن هناك العديد من المميزات للتربية التى تسير وفقاً لقوانين الطبيعة حددها على النحو التالى:

- تحترم ميول الطفل وغرائزه الفطرية ونزعاته الأولية ونزواته ورغباته المعقولة.
- تعمل على تحرير قواه بدلاً من كبتها وإزلالها وإخضاعها للنظم والقوانين الاجتماعية لأن فى الحرية عونا للطفل على تنمية شخصيته وتعويده على الاستقلال والاعتماد على النفس.
- تعمل على تعويد الطفل على حياة البساطة والتقشف والصبر والاعتدال فى كل شئ والاعتماد على النفس وتحمل الألم، وفى الوقت نفسه تمتنع عن تذليله وتعويده على الحصول على كل شئ.
- كما أنها تتيح أكبر قدر ممكن من الاحتكاك بمظاهر الطبيعة المادية وعناصرها ومن الحياة فى كنفها بعيداً عن حياة المدن.
- تتخذ من مظاهر الطبيعة موضوعاً للدرس، ووسيلة لتوضيح المعارف المراد اكتسابها.

أما « هربارت » فيرى أن التربية هى تهذيب الأخلاق واكتساب الفضائل لتكوين الشخصية المتكاملة النمو، وهو يشير فى شرحه لمعانى التربية إلى ما يمتاز به الإنسان من مرونة وقابلية للتشكيل، ووضح ذلك فى كلمتين التربية تهذيب للنفس، ومن هنا نجد أن « هربارت » يختلف فى رأيه عن رأى « بستالوتزى » القائل

بـأن الطفل يولد مـزوداً بجميـع القـوى والمواهـب التـى تظل كامنـة إلى أن يوقظهـا المربى وينميهـا. أمـا « هربـارت » فـيرى أن الطفل يولد لا عقل لـه، وبذلك فهـو أنكـر الاستعدادات الفطرية والميول الطبيعية.

أمـا « بستالوتزى » فـيرى أن التربيـة هـى: « عمليـة النمـو العضـوى الكامـل المتكامل لكافة ملكات الشخص وقواه الجسمية والعقلية والخلقية ». وفى موضع آخـر يـرى « بستالوتزى » أن التربيـة هـى: « نمـو جميـع قـوى الإنسـان وملكاتـه نمواً طبيعياً فى اتساق وانسجام ».

كمـا يـرى « بستالوتزى » أن التربيـة هـى: « طريقـة طبيعيـة تعمـل على إنماء القوى الكامنة فى الإنسان ».

وفـى موضـع آخـر وضـح « بستالوتزى » معنـى التربيـة إذ يقـول: « إن التربيـة الحقة المثمرة تتمثل أمامى كشجرة تم غرسها على مقربة من مياه جارية بذرتها الصغيرة تنمو معها الشجرة وتستمد منها صفاتها المدفونة فى الطمى، والشجرة كلـها سلسلة متصلة الحلقـات مكونـة مـن أجـزاء عضـوية، والإنسـان يشبه هـذه الشجرة، ففى الطفل تكمن تلك الملكات والقوى الإنسانية التى تنمو فيما بعد، كما أن الفرد وأعضائه المختلفة لا تلبث أن تتشكل وتصير وحدة متكاملة ».

فالطفـل فـى رأى « يسـتالوتزى » كـائن عضـوى ينمـو وفقـاً لقـوانين ثابتـة ومنتظمـة، ولهـذا النمـو جوانـب ثلاثـة هـى: الجانـب العقلـى والـذى يتـأتى نتيجـة احتكـاك الفـرد ببيئتـه، والجانـب الجسـمى وهـو مـا يعـبر عنـه الفـرد بنشـاطاته الحركيـة، والجانـب الأخلاقـى الـذى يتعلق بصلات الفرد مع غيره من النـاس ومـع خالقه. فالتربية من وجهة نظر « بستالوتزى » ليست تعليماً، بل هى نمو.

أمـا « سبنسر » يرى أن التربية عنده هى التى تعد الفرد للحياة الكاملة، وتركز فـى محتوياتهـا على الخبرات وأنشطة الحيـاة ذات القيمـة الواضـحة فـى الإعـداد للحياة الكاملة.

فالتربية عند « سبنسر » تعتبر الوسيلة للخروج بالفرد من الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النفس، وأيضاً لإكساب الفرد الكثير من الصفات التى تميزه عن غيره. وللإعداد للقيام بوظيفته فى الحياة. وهذا يرجع من وجهة نظره إلى حاجة الفرد إلى التربية نظراً لطول طفولته واعتماده على الغير لفترة طويلة.

ويرى « سبنسر » أن الحياة الكاملة للفرد تتكون من مجموعة من الأنشطة هى:

- أنشطة من شأنها أن تؤدى بطريقة مباشرة إلى المحافظة على الذات.
- أنشطة تساعد على توفير ضروريات الحياة، وبالتالى تؤدى بطريقة غير مباشرة إلى المحافظة على الذات.
- أنشطة ترتبط بتربية الأطفال وتهذيبهم.
- أنشطة تتعلق بالمحافظة على علاقات اجتماعية وسياسية مناسبة.
- أنشطة تتعلق بأوقات الفراغ وتهذيب الذوق الفنى.

وإنطلاقاً من ذلك يمكن القول أن « سبنسر » جعل من هذه الأنشطة ما يساعد على تنمية جوانب شخصية الفرد من جميع النواحى بطريقة عملية. وهذه الأنشطة تركز على مجموعة من الخبرات الحياتية التى لها قيمة فى عملية إعداد الطفل للحياة الكاملة.

ويذكر بعض المربين أن « سبنسر » وضع مجموعة من المبادئ التربوية التى تتعلق بمفهوم العملية التربوية، من هذه العوامل ما يلى:

- يجب أن تتمشى التربية مع العملية الطبيعية للنمو العام والنمو العقلى للطفل، وهذا يتطلب ضرورة فهم طبيعة الطفل وطبيعة نموه فهماً صحيحاً، كما أن طبيعة ونوعية عملية التعلم يجب أن يحددها المتعلم.
- يجب أن تكون العملية التربوية سارة بالنسبة للطفل، حيث أن الأطفال يجدون متعة فى عمل الأشياء المحسوسة، وعند قيامهم بالأنشطة التى تتفق

مـع استعداداتهم الحاضرة لنموهم الجسمى والعقلى، وهذا يتطلب أن يتخذ المعلمون والآباء من ميول الأطفال موجهاً ومرشداً فى اختيار مواد الدراسة والخبرات وطرق التدريس التى تتفق مع استعدادات الأطفال فى مختلف مراحل أعمارهم.

- يجب أن تستغل العملية التربوية النشاط الذاتى للطفل إلى أبعد حد، وهذا يتطلب من المعلمين والآباء استغلال النشاط الذاتى للطفل فى طرق تربيتهم له، وإتاحة الفرصة الكافية أمام الطفل للتعبير عن نشاطه الذاتى، حيث أن معظم ما يتعلمه الطفل يكون عن طريق خبرته ونشاطه، ومعظمها قائم على أساس ما يكتشفه أثناء علاقاته المتفاعلة مع الآخرين.
- يجب أن ينظر إلى اكتساب المعرفة على أنه جزء هام من التربية، وأن خير أنواع المعرفة المعارف العلمية التى تمكن الفرد من المحافظة على حياته وإكسابه المناعة والقوة.
- يجب أن تعمل التربية على تحقيق اللياقة العقلية والجسمية معاً، وهذا يتطلب تهيئة الظروف المادية المناسبة للعملية التربوية لتحقيق ذلك، حتى لا يكون هناك إنهاك سواء للجسم أو العقل.
- يجب أن تتم العملية التربوية ببطء وبالتدريج، لأن هذا يساعد على إتاحة الفرصة لإدراك وتمييز التوقعات الطبيعية للنمو.
- يجب أن تكون طريقة التدريس طريقة استقرائية، بمعنى أن تسير من استقصاء الحقائق الخاصة إلى استنتاج الحقائق العامة، وهذا يتطلب استغلال النشاط الذاتى للطفل، والتقليل من إخباره بالمعلومات بقدر الإمكان، وتشجيعه على الملاحظة واكتشاف المعلومات بنفسه.

- يجب أن يقوم العقاب الذى يتم داخل المؤسسات التعليمية على أساس الجزاء الطبيعى، وأن يحاط بالمشاعر الطيبة وتحديد طبيعته فى كل موقف بما يتطلبه ويقتضيه هذا الموقف.

وانطلاقاً من ذلك يمكن القول أن ما قدمه « سبنسر » من مبادئ وأفكار متعلقة بمفهوم التربية تتفق إلى حد كبير ما تنادى به التربية الحديثة، وذلك من حيث مناسبة التربية لطبيعة الطفل، وجعل عملية التربية عملية سارة ومحببة لنفس الطفل، والاعتماد على النشاط الذاتى للطفل فى العملية التربوية، ومساعدة الطفل على التعلم بذاته من خلال خبراته واكتشافاته، وأن يقوم الطفل بتوظيف ما يتعلمه فى حياته العملية واليومية من أجل أن يكون مواطناً صالحاً فى المجتمع، والتركيز فى التربية على التربية العقلية والتربية الجسمية بشكل متوازن ودون تغليب أحدها على الآخر، وأن تتم العملية التربوية بالتدريج بمعنى أن تتمشى مع نمو الطفل ونضجه، وعدم عرقلة النضج أو تأخيره بعملية اصطناعية.

أما « فروبل » يرى أن التربية نمو من الداخل أى أن التنمية تتم عن طريق إدراك الفرد الذى يعد أحد أفراد الوحدة المحيطة بها، فالتربية هى التى تكشف عن القوى الداخلية للطفل وتوقظ الطبيعة الروحية.

وفى موضع آخر يرى « فروبل » أن التربية عملية نمو وتطور ورقى نحو السمو والكمال الروحى أو الوحدة المقدسة.

ويرى « فروبل » أن النمو هنا ليس معناه الزيادة فى الكم أو فى العدد. وإنما يعنى به التحسين فى المهارة والقدرة فى مظاهر النمو الطبيعية المختلفة وهى تتم بالممارسة الطبيعية المتعددة، كما تتم بالممارسة والتدريب، فالمران الوظيفى للكائن الحى يحقق استمرار للنمو وعدم المران يوقف النمو أو على أقل تقدير يبطئه.

من هنا يتضح أن التربية طبقاً للطبيعية تعنى:

- الاكتشاف والتكوين والتطبيق للقوانين الطبيعية للعملية التربوية.
- أن التربية طبقاً للقوانين الطبيعية لتنمية الإنسان ومن أجل تنمية الفرد يجب أن تفهم طبيعة نموه، وبهذا فإن عملية التربية تكون مبنية على دراسة طبيعة الفرد.

وانطلاقاً من ذلك يمكن القول أن الفلسفة الطبيعية تؤكد على أن التربية تنطلق من طبيعة الإنسان وأيضاً من واقعه، ولهذا فهى تؤكد على احترام ميول الأفراد ورغباتهم.

أهداف التربية طبقاً للطبيعية:

إن الطبيعية تريد تقديم الصلاح والفضائل الطبيعية للفرد لتأسيس المجتمع الذى يتمتع فيه كل فرد بالمساواة فى الحقوق فى كل مجالات الحياة، كما أنها تريد أن تنقذ الطفل من تأثيرات المجتمع الشريرة.

ومن هذا المنطلق فقد حدد بعض المربين أهداف التربية طبقاً للفلسفة الطبيعية على النحو التالى:

يرى « داروين » أن التربية تهدف إلى إكساب الفرد الكفاح من أجل الوجود.

أما « لامارك » *Lamark* فإنه رغم أنه متفق مع « داروين » لكنه أضاف أن التربية تهدف إلى مساعدة الطفل على التوافق مع بيئته العقلية والجسمية وظروف الحياة المتغيرة.

ويرى البعض أن هدف التربية طبقاً للفلسفة الطبيعية هو إعطاء الفرصة الكاملة لتنمية هبات الطفل الطبيعية.

أما بالنسبة لـ « جان جاك روسو» فإنه من الملاحظ أن أهداف التربية عنده جاءت لتحقيق جوانب النمو المختلفة للطفل، فهو يرى أن أهداف التربية تتمثل فى:

التنمية المتوازنة والمنسجمة:

إن هدف التربية عند «روسو» تحقيق النمو الطبيعى للفرد ، لتى تقوده إلى الانسجام والتوازن مع الحياة الطبيعية والنافعة. فالهدف الحقيقى للتربية يكون مساعدة الطفل ليعيش حياته. لذلك فهو يقول: «إن الحياة ليس مجرد تنفس وإنما فعل وعمل وصناعة وأحداث وشعور واستعدادات. فكل هذا يعود جزءاً منا وهى التى تعطينا الشعور بوجودنا».

التنمية الجسمية:

ففى الطفولة مثلاً من الميلاد حتى عمر خمس سنوات يكون هدف التربية تنمية الحرية المنتظمة الجيدة. ولتحقيق هذا الهدف فقد أوصى بالتربية الجسمية الخالصة فى حرية تامة فى الجو المحيط به.

تدريب الحواس والأعضاء الجسمية:

ففى الطفولة ما بين عمر خمس سنوات والثانية عشرة يكون الهدف الرئيسى للتربية هو تزويد الطفل بالقوة التى هو فى حاجة إليها لتحقيق الحرية الكاملة. ولهذا فإنه فى هذه المرحلة لا توجد تربية رسمية. كما أوصى «روسو» استمرارية التربية الطبيعية والعناية الجسمية. كما نصح فى هذه الفترة بأن الاهتمام بالتدريبات الجسمية والأعضاء والحواس والقوة تحفظ الروح.

التنمية العقلية:

فى مرحلة ما قبل المراهقة مثلاً من سن الثانية عشرة إلى سن الخامسة عشرة يكون هدف التربية اكتساب المعرفة والتى تجعل الطفل راضياً عما يريده. وتكون ذات فائدة وطيفية. وأن هذه الفترة التعليمية فترة عمل ودراسة. وأوصى بمواد الدراسة التالية: الطبيعة والعلوم واللغات والرياضيات والجغرافيا.

التنمية الروحية والاجتماعية والأخلاقية:

فى فترة المراهقة مثلاً فى سن الخامسة عشرة إلى سن العشرين يكون هدف التربية تدريب القلب ليجعل الطفل محباً ورقيقاً لكى يعيش بأمان فى الحياة

الاجتماعيـة. كمـا أوصـى فـى هـذه الفـترة بالتربيـة الاجتماعيـة والأخلاقيـة، ومـن الواضح فى هذه الفترة أن الطفل سبق له تنميته جسمياً وعقلياً وأنه يجب أن ينمو انفعالياً واجتماعياً وأخلاقياً.

من هنا يتضح أن الهدف من التربية عند «روسو» ليست حشو رأس الطفل بالمعلومات، وإنما العمل على تهذيب قواه العقلية وجعله قادراً على تثقيف نفسه بنفسه، لذلك فهو يقول: «سوف لا أعلمه بنفسى فكل مهمتى أن أضع قدمه على طريق المعرفة السوى وحتى يتبين أن عليه تحصيل ما يريده من العلم، فسوف يستخدم عقله لا عقل سواه من الناس فى ذلك السبيل وتعلمه، أن من الخطأ الاعتماد على السماع من الناس أو تلقين المعلمين، فمعظم أخطائنا تأتينا من هذين الطريقين، ولاشك أن عقله سيستفيد من ذلك التمرين فائدة عظيمة. كما تستفيد العضلات بممارسة الرياضة وبهذه الطريقة لن يحمل ذهنه من المعلومات إلا ما يقدر على حمله فعلاً، لأنه لن يتعلم إلا ما يكتسبه ويكتشفه بتجربته، فلا يعى فى ذاكرته من غير تحفظ، ومرة أخرى ليس هدفى إطلاقاً أن أمنحه العلم بل أن أعلمه كيف يكتسبه عند الحاجة، وكيف بقدره حق قدره وأن يحب الحقيقة ويغلبها فوق كافة الأشياء.

ومن الواضح أن «جان جاك روسو» يسعى من وراء ذلك إلى تحقيق أهداف غائية أو نهائية وهى:

- مساعدة الطفل على تنمية جسمه وتفتح شخصيته وتكاملها وتحقيق فرديته وتعويده على الشجاعة والإقبال والاستقلال والاعتماد على النفس وغرس قوة المناعة لديه ضد التأثيرات السيئة للمجتمع، وتدريب تفكيره وإرادته وملكه الحكم لديه وتربية روحه وعاطفته وإعداده لحياة متغيرة ومتطورة.
- تكوين إنسان كامل وإن على التربية أن تزيل كل شئ لتنمو الطبيعة الإنسانية وترقى.

وبذلك تكون التربية الوسيلة التى عن طريقها يمكن إزالة كل ما يعوق نمو الطفل وما يؤثر فيه تأثيراً سيئاً.

- إدراك مجتمع يعتبر فيه « روسو» الفضائل الأولية للمساواة والأخوة والبساطة والحرية قبل أن تتحقق بواسطة جميع أعضائه.

يرى « سبنسر» *Spencer* والذى ينتمى إلى المدرسة الطبيعية البيولوجية أن التربية الطبيعية تهدف إلى حصول الطفل على السعادة فى الحاضر والمستقبل عن طريق ضبط النفس والإحساس بالقيم.

أما أهداف التربية عند « سبنسر»، يرى أن هناك هدفاً أعلى للتربية وغاية أساسية لها وهو الإعداد للحياة الكاملة، وبذلك فهو يتفق مع وجهة نظر « بيكون »، ويتطلب تحقق هذا الهدف تحقيق الكثير من الأهداف الخاصة والتى أجملها « سبنسر» تحت الأهداف المرتبطة بالفضائل لأنشطة الحياة، وهى:

- المحافظة على الحياة، فأول شئ يجب على الإنسان أن يحققه من أجل تحقيق الحياة الكاملة هو أن يعيش وأن يحافظ على استمرارية وجوده، وهذا يتطلب من التربية أن تساعده على اكتساب المعارف والخبرات والمهارات والاتجاهات التى تمكنه من الحفاظ على حياته وعلى صحته، كما أنه يتطلب أيضاً غرس القواعد والمبادئ الأساسية للمحافظة على الصحة فى نفوس الأطفال وكيفية اتباع العادات الصحية السليمة فى حياتهم والمحافظة على أرواحهم.
- تمكين الفرد من ضمان ضروريات الحياة وبالتالى من الحفاظ على حياته، وهذا الهدف يرتبط بالهدف السابق، وهذا يتطلب من التربية أن تدرب الفرد لتمكينه من تنمية الكفاءة الاقتصادية، ومن اكتساب مهنة يعيش منها، وهذا يتطلب أيضاً تدريب الأطفال على بعض الأعمال اليدوية والفنية، وجعل التعليم يركز على النواحى العملية والتطبيقية.

- إعداد الفرد لتكوين أسرة وللحياة الزوجية، والأبوة الصالحة وتربية الأطفال وتهذيبهم، ولهذا يرى « سبنسر » أن الإعداد للقيام بدور الأبوة والأمومة يعد وظيفة أساسية من وظائف التربية، وهذا يتطلب من التربية أن تهتم بعملية الإعداد لرعاية الأطفال وتربيتهم على اعتبار أن هذا ركناً أساسياً من أركان الإعداد للحياة الكاملة.
- التنمية والمحافظة على العلاقات الاجتماعية والسياسية، ومساعدة الفرد على الفهم والتمكن من العمليات الاجتماعية والسياسية، وأن يكون مواطناً حكيماً معداً للعمل الاجتماعى والسياسى الفعال، وهذا يتطلب من التربية أن تغرس فى نفوس الأطفال مبادئ وقواعد العمل الاجتماعى والعمل السياسى، ومساعدتهم على تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين.
- مساعدة الفرد على الاستعمال الحكيم لوقت فراغه، والتمتع بوقته، وهذا يتطلب من التربية أن تمكنه من تهذيب ذوقه الفنى وتنمية مواهبه الفنية وميوله وهواياته من أجل التمتع بوقت فراغه، وهذا يتطلب من التربية أيضاً أن تقوم بتوفير الأنشطة الفنية والموسيقية للأطفال لاكتشاف مواهبهم وتنميتها، وتدريبهم على كيفية الاستفادة من وقت فراغهم فى الأعمال المفيدة والنافعة، حتى يتعودوا على ذلك.

أما « بستالوتزى » فيرى أن التربية تهدف إلى: إعداد الإنسان لحياة المجتمع وذلك من خلال تنمية جميع الطاقات الطبيعية والبشرية لديه تنمية منسقة وتثقيفية فى إطار وحدته الإنسانية الشاملة، ومساعدته على أن يحيى حياته بصورة كاملة، وأن يسمع ويفعل ما يسعده، وتنمية قدرته على التفكير الصائب وتنمية العواطف النبيلة لديه.

ولذلك فهو يقول: « أن أخلص التربية الإنسانية من أيدى الطبيعة الفاسقة وأن أحررها من تأثير شهوانيتها وتدبيرها، وأن أضع الزمام فى أيدى أنبل القوى

فى طبيعتها التى روحها الإيمان والحب، وإذا استطعت ولو على مدى محدود طفيف أن أنجح فى جعل فن التربية يبدأ من محراب البيت أكثر مما عليه هو الآن. وإذا نجحت فى أن أجعل التربية فناً لينسجم مع أنبل القوى المتحلية فى عقولنا ونفوسنا فإن أعظم أمالى تكون قد تحققت».

وفى موضع آخر يرى بعض الباحثين أن التربية فى رأى «بستالوتزى» تهدف إلى:

- التعليم وسيلة لغاية سامية هى إبراز القدرات والمهارات.
- تربية كاملة تعالج الجهل وتسعد الحياة.
- نماء القوى الكامنة فى الطفل حتى تصل إلى كمالها والسبيل إلى ذلك تمرين الحواس.
- ومن هنا يمكن القول أن هدف التربية عند « بستالوتزى » هو النمو.

إذن التربيـة عند « بستالوتزى » ليست تعليماً بل هو نمو، وهذا يعنى أن يصبح الطفل محور الاهتمام أو فى ظل التربية الصحيحة ينمو النمو الصحيح. ويسعى « بستالوتزى » من وراء ذلك إلى تحقيق الهدف الأعلى من التربية من وجهة نظره وهو « تحقيق شخصية كاملة متكاملة تعيش فى علاقات منسجمة مع الشخصيات الأخرى ومع خالقها، ومن مهمة الحياة الأخلاقية والدينية عنده ربط القوى والملكات الأخرى للكائن العضوى وتوحيدها.

أما « هربارت » فيرى أن شخصية الطفل تحدد أهداف التربية، ولهذا فإن الهدف النهائى من التربية من وجهة نظره هو تكوين الأخلاق الحسنة وغرس روح الفضيلة فى نفوس التلاميذ، وأن المعرفة الكاملة هى الطريق إلى الفضيلة والأخلاق، ولتحقيق ذلك فإنه يتطلب من المعلم معرفة نفسية التلاميذ لأن معرفته بنفسيتهم تساعد على أن ينمى فيهم التكامل بين الفضيلة والأخلاق من ناحية، والمعرفة من ناحية أخرى، والتعامل معهم على أساس سليم.

أما « فروبل » فيرى أن هناك أهدافاً جزئية للتربية هى تحقيق الذات، تحقيق الحيـاة الكاملـة، والنمـو المتعـدد الجوانـب، وتنميـة الإرادة القويـة الثابتـة، بنـاء العـادات الحسـنة والاتجاهـات الطيبـة، وتحقيـق التوافـق الـداخلى مـع الـنفس، والتوافـق بين الفـرد وبين من يعيشون معه وبينه وبين خالقه وبينه وبين الطبيعة المحيطة به.

كما يرى «فروبل» أن الهدف من التربية يتمثل فى:

- تسيير التربيـة مـع الطبيعـة خطوة بخطوة لأن الطبيعة سيدة الموقف فى تربيـة الطفل تمده بالمشاهد الكثيرة يلاحظها ويختبرها.
- تتجه التربية بالطفل إلى نموه الجسمى والعقلى والخلقى والاجتماعى والروحى فى وقت واحد.
- توثيق الروابط بين الطفل والخالق والطبيعة.
- أن التربيـة تقود وتوجه الفرد إلى الوضوح مـع ذاتـه والوئـام مـع الطبيعـة، كمـا أنهـا سـوف تسـاعده علـى معرفـة نفسـه وذاتـه البشـرية والطبيعيـة والحيـاة القدسية الخالصة.
- التنمية الكاملة للفرد لكى يكون قادراً على التعبير الروحى السامى.

مـن هنـا يمكـن القـول أن الهـدف الأسمى للتربيـة فـى مرحلـة ريـاض الأطفـال عند « فروبل » هـو إتاحـة الفرصـة للطفل لكى ينمـو نمواً طبيعياً هادئاً، كمـا يـرى ألا نحمل الطفل على إتيـان عمل لم ينبع منه تلقائياً أو وجدانياً تبرماً منه، وإحجاماً عنه لأنه ضد طبيعته وبعيد عن فطرته، فهدف التربية عنده هو النمو المتكامل الذى يشمل الجسم والعقل والروح.

مـن هنـا نجـد أن « فروبـل » يتفـق مـع « بستالوتزى » فـى أن النمـو هـو أهـم أغراض التربيـة.كما يتفـق معـه فـى أن الجانـب الأخلاقـى يحتـل المرتبـة الأولى فـى

العملية التربوية، وأن الجوانب الجسمية والعقلية تعتبران وسيلة لتحقيق النمو الأخلاقى والروحى.

من هنا يتضح أن هذه الأهداف والتى يجب أن تسعى العملية التربوية إلى تحقيقها، يرى «فروبل» أنها من أجل تحقيق الهدف الأسمى من التربية وهو تحقيق النمو الشامل المتكامل المترابط الذى يشمل نمو الجسم والعقل والروح.

وقد جاء ذلك نتيجة لإيمانه بأن التربية يجب أن تتوجه للإنسان ككل وأن تعمل على تنمية كافة جوانب شخصيته.

ومن هنا يمكن القول أنه بالنظر لبعض الأهداف من التربية عند «فروبل» يلاحظ أنه مثل «روسو» يعتقد فى الصلاح الداخلى للطفل ورغباته، وأن التربية سوف تقوده إلى تحسين الأخلاق وسمو الدين.

وبناء على ذلك فإن أهدف التربية طبقاً للفلسفة الطبيعية باختصار تتمثل فى:

التعبير الذاتى:

إذا كانت المثالية تؤكد على الإدراك الذاتى كهدف رئيسى للتربية، فإن الطبيعية تؤكد على التعبير الذاتى وحفظ الذات، فالتربية ستعرف الشخص على قوانين الصحة وتجعله قادراً على كسب المعيشة وتدربه على حفظ وصيانة الحياة.

توجيه وإعلاء الغرائز:

إن غرائز الإنسان قوة موجهة وأساسية لكل سلوك الإنسانية، ولهذا فإن الهدف من التربية سيكون توجيه وإعلاء الغرائز نحو العمل الاجتماعى المفيد وتحقيق الحاجات الفردية والاجتماعية خلال الطبيعة.

النضال من أجل الوجود:

التربية يجب أن تزود الفرد بالنضال من أجل الوجود، والمحافظة على بقائه حيث أنها تساعد الأطفال على توافقهم جسمياً وعقلياً مع بيئتهم وظروف الحياة المتغيرة.

التربية طبقاً للطبيعة :

التربيـة لا تكـون طبقـاً للطبيعـة الجسمية فقـط، ولكـن أيضـاً لطبيعـة الطفـل، وبعبـارة أخرى ستكون طبقاً لاتجاهـات وقدرات غرائز الحب والكراهية، والطبيعة الجسمية تكون مهمة لقوانين التعلم، وهدف التربية سيكون تزويد الفرصة الكاملة من أجل تنمية هبات حقوق الطفل الطبيعية.

وبعد أن عرض مفهوم وأهداف التربية فى ضوء الفلسفة الطبيعية فإنه سيتم تناول مصادر تربية الطفل كما يراها رواد هذه الفلسفة.

مصادر تربية الطفل :

تـرى الفلسفة الطبيعيـة أن هنـاك بعض المصـادر التـى تقـوم بتربيـة الطفـل، فـيرى « روسـو » أن الأم والأب همـا مصـدر التربيـة الحقيقيـة الأولى للطفـل علـى ألا يغالى فى العناية به أو تدليله حتى ينشأ قادراً على مواجهة صعوبات الحياة، كما يـرى « روسـو » أن الطفـل يمكـن أن يتغـذى علـى لـبن مرضـع بـديل الأم أوعلـى لـبن حيوان ومع ذلك فإن الأم لا يعوضها شئ.

من هنا يتضح أن الأب هو المعلم الطبيعى للطفل، كما أن الأم هى الحاضنة الطبيعية له.

كما يرى « روسو » أنه من المصادر التى تقوم بتربية الطفل « تربية الأشياء » حيث يرى أن الطفل يترك فى الطبيعة (الريف) لينشأ نشأة تلقائية ولا يتدخل فى تربيته أحد وسوف تتولى الطبيعة بما فيها من أشياء تربيته من خلال احتكاكه بها.

فالطبيعـة فـى نظـر « روسـو » هـى المعلـم الرئيسـى للطفـل حيـث قـال: أن الطبيعة هى أحسن معلم وطالب بأن يطلق الأطفال إلى الطبيعة ليتعلموا منها وليقفوا على قدرة الخالق.

يتضح من ذلك أنه بناء على وجهة نظر « روسو » لكل فرد من أفراد البشر ثلاثة انواع من المعلمين (الطبيعة، الناس، الأشياء) ومن البديهى إذا تضاربت أعمال

هؤلاء المعلمين الثلاثة فسدت التربية بطبيعة الحال، ولا يمكن أن تكون تربية صالحة ما لم تتوافق وتتعاون أعمال هؤلاء المعلمين وما لم تتوجه بأجمعها نحو غاية مشتركة.

كما يتضح أنه بعد أن بين « روسو » العوامل الثلاثة التى تؤثر فى تربية الطفل قرر ضرورة تكييف التربية الصادرة عن البشر والأشياء لتلك التى تشتق من مؤثرات الطبيعة، حيث قال « نولد ضعفاء ونكون بحاجة إلى القوة، نولد عزلاء من كل شئ ونكون بحاجة إلى المساعدة، نولد أغبياء ونكون بحاجة إلى الحكم، كل ما ينقصنا عند الولادة ونكون بحاجة إليه ونحن راشدون يأتينا من التربية »، وتأتينا هذه التربية من الطبيعة أو من البشر أو من الأشياء، فالنمو الداخلى لملكاتنا وأعضاءنا هو تربية الطبيعة وكيفية استخدام هذا النمو نتلقنه من تربية البشر وما نكتسبه من خبرة ذاتية فى الأخلاق التى نستخدمها هو تربية الأشياء.

فتكوين كل منا يتم إذاً على أيدى ثلاثة أنواع من المعلمين، فالناشئ الذى تتناقض فى تربيته دروسهم المتنوعة هو سيئ التربية، ولن يكون أبداً متفقاً مع نفسه وذلك الذى تلتقى فى تربيته دروسهم عند نقاط واحدة وترمى إلى ذات الأهداف يسير وحيداً إلى هدفه ويعيش منسجماً مع ذاته وهذا هو الناشئ الحسن التربية.

أما « بستالوتزى » فيرى أن الأسرة أهم مؤسسة تربوية للصغار، إذ هى مركز لممارسة المحبة والتعاون للصالح المشترك.

وقد ركز « بستالوتزى » على الأم فى عملية تربية الطفل حيث أن الله قد وهبها من القدرة ما يساعدها فى عملها النبيل وأن تصبح هى العامل الرئيسى فى نمو طفلها، أن حب الأم لابنها هو اللبنة الأولى فى صرح تربية الطفل، وعن طريق التربية الصحيحة تزرع فى نفسه محبة الخالق الأعظم الله جل جلاله.

يتضح مما سبق أنه طبقاً للفلسفة الطبيعية أن الأب والأم، والمربية والمعلمين المؤهلين فى المدارس يعدون الوكلاء الرئيسيين لتربية الطفل، وأن تبدأ تربية الطفل بالأسرة ثم تقوم الدولة برعايته وتربيته، وأن المصدر الرئيسى فى تربية

الطفل هو الطبيعة، أما بقية المصادر الأخرى فما هى إلا وسائل يتم عن طريقها تنفيذ أغراضها.

وبعد أن تناول عرض مصادر الفلسفة الطبيعية فإن هناك تساؤلاً يطرح نفسه وهو ما قضايا تربية الطفل من منظور الفلسفة الطبيعية؟

وللإجابة عن هذا التساؤل فإنه سوف يتم تناول بعض جوانب تربية الطفل المختلفة وهى: التربية الجسمية والعقلية والخلقية، ودور المعلم، والمنهج، وطرق التدريس من منظور تلك الفلسفة.

بعض جوانب تربية الطفل طبقاً للفلسفة الطبيعية:

سوف يتم تناول بعض قضايا وجوانب تربية الطفل من منظور الفلسفة الطبيعية وذلك على النحو التالى:

التربية الجسمية للطفل:

الفلسفة الطبيعية أولت تربية الطفل جسمياً اهتماماً واضحاً فيرى «روسو» أنه يجب الاهتمام بالتربية الجسمية للطفل فى الفترة من الميلاد حتى سن الثانية عشرة، ففى مرحلة المهد يرى «روسو» أنه عند ولادة الطفل يحسن أن يكون حمامه الأول ماء بارد وإذا كان ضعيفاً لا يحتمل المخاطرة فإنه بمرور الأيام تقلل درجة الحرارة فى الماء حتى يتعود على الاستحمام بالماء البارد صيفاً وشتاءاً، ويجب مراعاة الدقة فى التدرج بنقصان درجات الحرارة وعندما يتعود الاستحمام بالماء بالبارد فلا ينبغى العدول عنه، بل يستمر على ذلك طول حياته، وفائدة ذلك أنها تكسب الجسم مرونة يتحمل بها الجهد والحرارة والبرودة.

أما بالنسبة لملابس الطفل يرى «روسو» أن تكون ملابسه واسعة فضفاضة تتيح له حرية التحرك ولا تعوق الحركة ولا تحول دون دخول الهواء، فإن الهواء لا يؤذى الأطفال بل يكسبهم قوة، كما أن مهد الطفل يجب أن يكون واسعاً حتى يتيح له الحركة فى سهولة.

كما اهتم « روسو » بعملية إرضاع الطفل ووضع مواصفات خاصة لمن تقوم بعملية الرضاعة، فيرى أنه ينبغى أن ترضع الأم وليدها ولكن إذا استحال ذلك واقتضى الأمر اختيار مرضعة غريبة فيجب اختيارها بعناية بحيث تكون مستوفية لجميع الشروط الصحية كأن تكون المرضعة حديثة العهد بالأمومة، وأن يكون لبنها فى أول إدراره وذلك لأنه أشبه بالماء، والمقصود به فى أوله أن يكون غسيلاً لأمعاء الوليد وتزداد كثافته عندما يصبح الطفل أقدر على هضمه وأن تكون المرضعة هادئة وتتمتع بصحة جيدة لأن الكدر والانفعال يفسدان اللبن وأن ترعى الوليد ليلاً ونهاراً ولابد لذلك من صبر وأمانة وحنان ونظافة، إن اختيار المرضعة لا يقل أهمية عن اختيار المربى.

كما قدم « روسو » العديد من النصائح والأساليب التى يجب مراعاتها حتى يمكن تربية الطفل تربية جسمية صحيحة وذلك على النحو التالى:

- أنه يجب أن يسمح للطفل الصغير بأقصى قدر من حرية الحركة ولا يحبس على السرير.
- عدم الاستعانة باللفائف والأربطة التى تقيد الطفل وتشل حركته إنما يريد أن يترك الطفل حراً حتى يحبو.
- عدم الاستعانة بالمراضع إذ أن الحنان الأبوى لا يمكن الاستعاضة عنه.
- عدم المغالاة فى تدليل الأطفال.
- عدم التعجل فى تعلم الطفل النطق والمشى.
- عدم التحكم فى حرية الطفل والمعيشة داخل المنزل ومقاومة ميوله ورغباته.
- الإكثار من النشاط وأن يدرب على تحمل قسوة الجو، وأن يدرب تدريبات عنيفة ويدرب على عادات صعبة.

- يحب تعريض الطفل للبرودة والحرارة والمخاطر كلما أمكن ذلك مما يجعله معافـ صحياً.
- كما يرى ألا يعرض للنفس مجال، احتراماً لحقوق الطبيعة الطبية أصلاً، ويحذر أن يريد إصلاحها وتكميلها بالعادات، فإن العادة الوحيدة التى ينبغى أن يتخذها الطفل هى ألا يتخذ عادة ما، وإقصاء الطفل عن جميع المؤثرات المصطنعة مؤثرات المجتمع والأسرة والدين.
- الاهتمام بتدريب حواس الطفل منذ الشهور الأولى من ميلاده وأن تدرب كل حاسة على حدة، وأن حاسة النظر أهم الحواس يليها السمع ثم اللمس والشم والذوق.
- الاهتمام بالألعاب الرياضية لبناء جسم الطفل بناء سليماً وخاصة فى المرحلة من الميلاد إلى الخامسة، ومن أقوال « روسو» فى هذا الصدد « جميع الرغبات الشهوانية تجد لها مسكناً فى الأجسام الضعيفة، وكل ضعيف يخلق ضعيفاً، فالطفل لا يكون سيئ الخلق إلا لأنه ضعيف فإذا قويته تحسن ».

ولهذا فإن « روسو» اقترح اللعب الحر لتنمية المواهب الطبيعية للطفل وتربية طبيعته الفردية الخاصة، وطبقاً لقدراته الطبيعية وطبقاً لميوله الطبيعية وكان « روسو» يهدف من جراء ذلك إعداد الفرد للدخول بحماس وفاعلية فى العلاقات الإنسانية للمجتمع التى تتفق مع سماته الطبيعية وقدراته التى تستطيع أن تعيش إلى أقصى درجة ممكنة من حياة الرجل الطبيعى.

ومن هنا يتضح أن « روسو» وجه اهتمامه للتربية الجسمية للطفل وذلك من أجل خلق طفل صحيح الجسم سليم البنية ممتلئ بالحيوية والنشاط قادر على تحمل تقلبات الجو، وعلى استخدام حواسه وعلى تحمل الألم وعلى الكلام بلغة الأم

فى صوت واضح وألفاظ دقيقة غير وجل ولا خواف من الحيوانات والأشكال القبيحة والأصوات المزعجة.

أما « بستالوتزى » فيرى أن التربية الجسمية تعنى تدريب المهارات الجسمية والعملية والمهنية وهى مكملة للتربية العقلية وذلك لأن المعرفة وحدها دون المهارة العملية لا تكفى لإعداد الإنسان للقيام بعمله بكفاءة.

ومن مظاهر اهتمام « بستالوتزى » بالتربية الجسمية أنه وضع طريقة خاصة للنهوض بها. فبستالوتزى يرى أنه بالنسبة للتربية الجسمية تتبع نفس الطريقة التى تتبع فى الطريقة العقلية وذلك بالبدء بأدق عناصرها أو أبجديتها تبدأ بالبسيط منها ثم الأقل بساطة فالأكثر تعقيداً. فيبدأ بالحركات البسيطة للجسم مثل حمل الأشياء وقذف الأشياء الصغيرة والضغط بالأيدى والجذب والالتفاف حول النفس، وبعد ذلك يبدأ الطفل فى تناول الأشياء واستخدامها تلك التى ستصبح أدوات حرفته المتصلة.

يتضح من ذلك أن الفلسفة الطبيعية أولت التربية الجسمية للطفل اهتماماً واضحاً من حيث الملبس والتغذية وتدريب حواسه والتربية البدنية. وهذا يتفق إلى حد كبير مع الاتجاهات التربوية الحديثة والمعاصرة.

التربية العقلية للطفل:

اهتمت الفلسفة الطبيعية بالتربية العقلية وأخذت صورة أكثر تنظيماً، واختلفت كل الاختلاف فى برامجها وطرقها عن التربية العقلية السائدة فى ذلك العصر. فالفلسفة الطبيعية حددت التربية العقلية بأنها تدريب العقول بشكل رسمى. فهى ترى أن قوة إحساس وتمييز الطفل سوف تنمو عن طريق حس الطفل واهتماماته وحب استطلاعه الطبيعى وأن الطفل يشجع على التعبير عن أفكاره بحرية وإعطاؤه الفرصة الكافية للملاحظة العلمية والبحث والاستنتاج وأن

يتجنب بعناية كثرة الكلام، والكلام المؤثر وطبقاً للفلسفة الطبيعية أن الاعتماد على الكتب سيضر بالنمو العقلى.

ولهذا يرى «روسو» أنه فى المرحلة من الميلاد إلى الخامسة عدم محاولة تلقين الطفل مفردات لغوية كثيرة حتى يمكن أن يتمشى نموه اللغوى مع نموه الفكرى، فلا يردد ألفاظاً لا يفهم معناها، فإنه من الضرر أن يكون لديه كلمات أكثر من أفكاره وأن يعرف كيف ينطق بكلمات أكثر من قدرته على التفكير.

ولذلك فإن «روسو» اهتم بالتربية العقلية فى المرحلة من الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة حيث اعتبرها مرحلة التفكير والدراسة، ومرحلة العمل والتعليم. لذا فقد نصح باتباع مجموعة من الأساليب يمكن من خلالها الارتقاء بالتربية العقلية وهى أن نعتمد على الظما الطبيعى نحو المعرفة، وأن تعتمد التربية على الطبيعة، وألا نلجأ إلى الكتب، فالعالم المحيط بالطفل هو كتابه، وحقائق هذا العالم هى موضوعات التعليم.

كما يرى أن نعمل على تثقيف الطفل بالمعارف الطبيعية، وذلك بأن يتصل بالأشياء المباشرة، وأن يتصل بالملاحظة الشخصية إلى استكشاف الضرورى له كالعلم والفن فيتعلم أشياء من الفلك والجغرافيا والطبيعة والكيمياء ولا يلقن دروساً شفوية ولا يسمح له بمطالعة الكتب فإنها جميعاً لا تعلمه إلا ألفاظاً.

ومن الواضح أن التربية فى هذه المرحلة تعمل على تحقيق مجموعة من الأهداف منها، تنمية ملكات الطفل وقواه العقلية وتنمية روح المبادأة عنده، وتزويده ببعض المعارف النافعة فى الجغرافيا والعلوم الطبيعية، وتحبيب بعض الفنون العملية والحرف اليدوية إليه وذلك مثل الزراعة والحدادة والنجارة.

أما «بستالوتزى» يرى أن الجانب العقلى فى مرحلة التعليم الأولى يجب أن يؤسس على التأمل، والتأمل يجب أن يقوم على ما يحيط بالطفل وما يمس حياته ويرتبط به.

من هنا يتضح أن « بستالوتزى » يركز على موضوع التفكير أكثر من التركيز على التعليم، وقد يرجع ذلك إلى تأثره بفلسفة « روسو »، فهو يرى أن التفكير والتأمل هو العمل الطبيعى التلقائى للذكاء البشرى وعن طريق التأمل يستطيع الطفل أن يحصل على الحقيقة دون مجهود كبير ودون تردد.

كما يرى « بستالوتزى » أن هناك بعض الأنشطة التى تساهم فى التربية العقلية، هى:

- تدريب الطفل على فحص الأشياء بحواسه وتعرف أسمائها وأسماء صفاتها.
- الاهتمام باللغة والنطق السليم وممارسة استعمال الكلمات.
- مشاهدة الطبيعة.
- الحساب.

وانطلاقاً من ذلك يمكن القول أن « بستالوتزى » أوصى بعدة توصيات للنهوض بالتربية العقلية وهى:

- ينبغى أن يعرف الطفل كيف يتكلم قبل أن يتعلم القراءة.
- ينبغى أن يرسم الطفل قبل أن يكتب.
- يجب أن يستفيد من الأحرف المتحركة الملصقة على لوحة.
- ينبغى أن يستعين بالأشياء المحسوسة لتعلم الحساب.
- ينبغى أن يقترن العمل اليدوى بالعمل العقلى.

أما « فروبل » فيرى أنه يمكن النهوض بالتربية العقلية للطفل عن طريق الأنشطة المختلفة التى يمارسها الطفل، ومن وجهة نظره أن أهم الأنشطة التى تساهم فى التربية العقلية ما يلى:

- تعلم مبادئ الرياضيات عن طريق الإدراك الحسى للأشياء.
- تعلم مبادئ اللغة باستخدام الحواس والملاحظات الموضوعية للطبيعة.

- تدريب الأطفال على مشاهدة الطبيعة، على أن يبدأ الطفل بملاحظة أقرب الأشياء إليه، ثم ينتقل إلى ما يليه من القرب وذلك فى حديقة الحضانة ومعرضها والرحلات.
- تدريب الأطفال على المحادثة فيما بينهم وبين الحاضنة بشرط ألا يكون الغرض الأساسى هو تزويدهم بالمعلومات وأن حدث ذلك فعلاً.
- الإدراك الحسى للإحجام والأشكال والألوان والأصوات عن طريق التمييز الحسى لما يعرض على الأطفال من صور وأشكال وأحجام مختلفة.

التربية الخلقية للطفل:

أولت الفلسفة الطبيعية التربية الخلقية للطفل اهتماماً واضحاً، فقد اعتبرت التربية الخلقية مسألة خبرة أكثر من كونها تلقيناً أو تعليماً، ولهذا فإنها ترى أن التدريب الخلقى للطفل يتم من خلال التطور الطبيعى لتصرفات وتفكير الطفل، أما التصرفات الغير طبيعية والغير مقبولة فإنها سوف تختفى.

من هنا يلاحظ أن «روسو» حبذ الإعداد الخلقى من خلال النتائج الطبيعية لأفعال الطفل، والاعتقاد بأن الأفعال الغير طبيعية وغير المرغوب فيها سوف تكف، وأن الأفعال الطبيعية والمرغوب فيها سوف تستمر تلقائياً.

من هنا يمكن القول أن طريقة «روسو» فى التربية الخلقية هى الممارسة العملية للحياة، والدروس العملية للفضيلة، فلا يطالب الطفل بالصدق حتى لا يضطر إلى إخفاء الحقيقة.

يتضح من ذلك أن «روسو» أولى التربية الخلقية عناية خاصة موضحاً بداية الاهتمام بها، والأساليب التى تعمل على تنميتها، فيرى أن التربية الخلقية تبدأ بعد أن أخذ الطفل قسطاً كافياً من التربية الجسمية والعقلية وذلك فى الفترة من سن الخامسة عشرة إلى سن العشرين حتى يدرك صلته بالناس وبالله وعلاقته بالله.

ويرى الإقلال من النصائح والإرشاد وزيادة اتباع الطرق العلمية واحتذائه المثل الصالح التى يلمسها فى سير إبطال التاريخ.

ومن رأى «روسو» أن تعليم الدين لا يبدأ إلا فى سن الخامسة عشر. ويستفيد الفرد من احتكاكه بذوى الخلق السيئ وزيارته للملاجئ والسجون حتى يشاهد أمثلة محسوسة من البؤس، فيتعرف على نتائج السلوك الخاطئ.

ويضيف «روسو» بعض الأساليب التى تساعد على تنمية التربية الخلقية، بالإضافة إلى الأساليب السابقة، حيث يرى أن تنمى فيه الشفقة والعرفان بالجميل ومحبة الإنسانية وضبط أهواء النفس، ويعلم أن له نفساً وإن الله موجود.

كما يرى أنه يجب أن يعرف الفرد ما هو خير وأن يمارس عمله بنفسه وهكذا بطرق طبيعية لا بالنظريات.

كما يرى «روسو» أيضاً أن التربية الخلقية أساسها الطاعة المطلقة ولا يجوز للمربى أن يدع أمراً للطفل يكون موضع مناقشة، فإذا عود الطفل على الأخذ والرد فيما لا يفهم تعود الجدل السفسطائى الغير منتج وقدر لنفسه فوق مكانتها فيصيبه بالغرور وتفسد عليه خير الملكات.

كما اهتم «روسو» بتكوين بعض الصفات الخلقية، ومن أهم هذه الصفات التى يرى أنه يجب الاهتمام بها وبتنميتها هى: صفة الشجاعة والتعود على التقشف وتحمل الألم، والاعتماد على النفس، وتقدير الحقوق المتبادلة، وعدم التصنع فى أعماله وفى معاملته، كل هذه الصفات يجب غرسها فى نفس الطفل عن طريق الخبرة والتجربة لا عن طريق الوعظ والتلقين.

أما «بستالوتزى» فإنه يضع التربية الخلقية والدينية فى المقدمة، وما يؤكد ذلك نقضه لنظام التعليم فى المرحلة الأولى فى عهده حيث يقول أن هذا التعليم فى كل مظاهره يسيطر الجسم على الروح، أما العنصر المقدس فقد أهمل وشأنه وفى كل مظاهره نجد الأنانية واضحة جلية بل هى الباعث على مختلف أنواع

السلوك.ونجد فى هذا التعليم دلائل على سيادة العادات الآلية فى الوقت الذى كان يجب أن تنتعش فيه أوجه النشاط التلقائى.

إن نظام التعليم يجب أن يكون غير ذلك النظام، إن كل طفل فى حاجة شديدة إلى التربية الدينية، فكيف يمكن أن يصلى لربه فى خشوع وبساطة ولكن بإيمان وحب، وإذا لم تلعب التربية الدينية الدور الأول فتأكدوا أن كل أنظمتكم التعليمية ستظل بعيدة عن التأثير فى حياة الأطفال.وستظل التربية بذلك شكلية أى أنها بعيدة عن الحياة والواقع.

كما حدد « بستالوتزى » بعض الأساليب التى يمكن عن طريقها تنمية التربية الخلقية والدينية فى الطفولة إذ يرى أن التربية الخلقية والدينية ينبغى ألا تكون مبنية على التفكير، بل تبنى على استخدام الحواس ثم على إيقاظ الشعور فيبدأ بتدريب الطفل على تنمية مشاعره واستخدام حكمه، وليس عن طريق توسيع خبراته بل عن طريق لفت نظره إلى الأشياء القريبة المرغوب فى معرفتها فتتحول مكوناته الفطرية إلى قدرات لتصبح فيما بعد عادات وعن طريق تأثير الأم ومحبتها وتوجيهها للطفل تفعل الخير واستمرارها مع الطفل حتى تتكون لديه العقيدة التى تجعله خيراً بإرادته.

كما يرى « بستالوتزى » أن التربية الخلقية شأنها شأن التربية العقلية تبدأ من أبسط العناصر، وتندرج فى الصعوبة حتى تصل إلى الهدف المطلوب، كما يرى أن التربية الخلقية تحتاج إلى التدريب على إيقاظ الشعور الدينى فى الطفل بالتدريج حتى يصبح عادة يتسم بها سلوكه، لأن الحديث عن الفضائل مع الطفل لا تنتج عنه تربية أخلاقية.

أما « فروبل » فقد أكد على الناحية الخلقية فى التربية، واعتبار التربية فى حد ذاتها خلقية لأنها تعمل على ربط الطفل بالحياة وتكشف عن طبيعته الباطنية عن طريق العمل.

يتضح من ذلك أن الفلسفة الطبيعية أكدت على أن التربية الخلقية للطفل تعتمد على الأساليب والممارسات العملية وليست على الوعظ والإرشاد. كما أوضحت بعض الأساليب المختلفة التى تساهم فى تنمية التربية الخلقية للطفل.

دور المعلم طبقاً للفلسفة الطبيعية :

اهتمت الفلسفة الطبيعية بالمعلم ودوره فى العملية التربوية والعلاقة بينه وبين أطفاله اهتماماً واضحاً، واتضح ذلك من خلال ما قدمه رواد هذه الفلسفة من آراء، فيرى «روسو» أن هناك العديد من المهام والأدوار التى يقوم بها المعلم والتى منها:

- أنه يجعل المسائل أو المشاكل فى متناول الطفل ويدعه يحلها بطريقته الخاصة وبنفسه ولا يتدخل فيها.
- مساعدة نمو الطفل الطبيعى تاركاً له حرية تربية نفسه بنفسه عن طريق المشاهدة والخبرة والتجارب الشخصية.
- دراسة الأطفال دوران العالم من حولهم ومن وجهة نظرهم وعقليتهم وغرائزهم وميولهم وتفكيرهم، حيث كان يرى أن جهل المربين بالأطفال والطفولة أدى إلى تربيتهم تربية خاطئة.
- يجب ألا يتسرع المعلم فى العملية التربوية وأن عليه ألا يكسب وقتاً، ولكن يجب عليه أن يفقده إذ عليه أن يعطى الطبيعة وقتاً لتؤدى فيه مهمتها وتقوم بعملها قبل أن يتدخل المعلم فى أعمالها ويتلقف مسئولياتها، وعلى المعلم أن يقيم عمله على أساس من الرغبة والاهتمام، وأن يؤسس طريقته على هذا الأساس حتى تكون سليمة ومناسبة.
- أن وظيفة المربين إعداد الطفل للحياة المقبلة، وأن يدركوا العالم فى نظرة وكيف يراه ويتخيله، وأن يفكروا فى عالم الطفولة الذى يعيش فيه حتى يأخذ من المواد ما يلائم ذلك العالم.

- أن من واجب المعلم ليس تعليم الطفل بل مساعدته على الاكتشاف والتعلم الذاتى، وأن التعلم ليس من الكتب بل من الحياة، ومن الأفعال الذاتية ومن الطبيعية والتعلم بالاختيار.
- أن يحترم المعلم النمو الطبيعى لقدرات الطفل.

يتضح من ذلك أن «روسو» منع التعليم من الكتب، ومنع تحفيظ الأطفال من الحقائق المجردة والتى لم يشاهدوها ولم يختبروها وإنما جعل كتاب الحياة وكتاب الطبيعة هو ما يجب أن يدرسه الأطفال وذلك بأن يحيوا حياة نقية كريمة لم تفسدها شوائب المجتمع، ولذلك فقد جعل الطفل صاحب حق فى استعمال حريته وفى اتباع مواهبه ونزعاته الفطرية، ينمو وفق قابليته ويتعلم من اختباراته، ومن هنا فقد تحول مركز الثقل التربوى من المعلم إلى الطفل، وفى هذا الصدد طالب روسو المعلمين بدراسة أطفالهم وميلهم وتفكيرهم، واعتقد بأن عدم معرفة المعلمين بأطفالهم له آثار ضارة بتربيتهم، وقال إن الطبيعة تطلب من الأطفال أن يكونوا أطفالاً قبل أن يكونوا رجالاً كما لفت «روسو» أنظار المربين إلى الاهتمام بنشاط الطفل واستغلال حواسه واهتماماته، كما طالب المربين بالابتعاد عن النواهى والأوامر فى توجيه سلوك الطفل لأنها تقتل شعوره وتكف تفكيره.

أما «هربارت» فيرى أنه يجب على مربى الأطفال أن ينتبه إلى الأفكار القديمة والخبرات السابقة والموجودة فعلاً فى أذهان الأطفال حتى يستعين بها فى توصيل المعانى الجديدة من خلال ربط الأفكار الجديدة بالقديمة الموجودة فى ذهن الطفل فعلا، لأن ذلك يعمل على تجميعها حول محور مما يسهل عملية التعليم.

أما «بستالوتزى» فقد كان يعتقد بأهمية المربى ودور شخصيته الطيبة اللطيفة فى تكوين شخصية الأطفال بشكل سليم، وفى هذا يقول: «لقد آمنت أن قلبى سوف يغير من حال أطفالى، كما تجئ شمس الربيع إلى الأرض بعد انتهاء الشتاء.

وكان « بستالوتزى » يرى أن للمربى وظيفتان، وظيفة سلبية وتتلخص فى إزالة العقبات التى تعترض نمو الطفل، ووظيفة إيجابية وتظهر فى إثارة المتعلم لتدريب قواه.

كما حدد « بستالوترى » المهام والأدوار التى يقوم بها المعلم، وذلك علـــى النحو التالى:

- مد الأطفال بالمواد والوسائل والفرص المناسبة والظروف المواتية.
- نصح المعلم الذى يجد أطفاله انصرفوا عنه بأن يبدأ البحث عن سبب ذلك.
- يرى أنه ليست مهمة المعلم تزويد الطفل بالمعارف، ولكن مهمته هى مساعدته على تنمية قواه وملكاته العقلية، وقدرته على اكتساب المعرفة بنفسه.
- أن يربط المعلم بين خبرات الأطفال داخل المدرسة وخارجها.
- أن يربط المعلم المعرفة بالتطبيق العملى لها.

كما تعرض « بستالوتزى » للعلاقة بين المربى والطفل باعتبار أن لها دور بالغ الأهمية فى نجاح التربية، قد جاء هذا الاهتمام نابعاً من أن تعلم الطفل يتأثر بحالته الانفعالية والظروف المحيطة به، وذلك كالجو النفسى والاجتماعى السائد فى الفصل والمدرسة، ومن هذا المنطلق نادى « بستالوتزى » بأن تكون العلاقة بين المعلم والطفل علاقة أبوة قائمة على العطف والحب والتعاون.

لهذا يرى أنه يجب على المعلم أن يحترم شخصية الطالب، وأن يكون قوياً فى مادته ماهراً فى طريقة تعليمه، وأن تكون المحبة أساس العلاقة بين المربى والطفل أو المعلم والمتعلم، أن يتمتع المربى بشخصية حانية بشوشة طيبة، ويرى « بستالوتزى » ضرورة تمتع المربى بهذه السمات لأنها تساعد على تكوين شخصية الطفل السوية.

وفى موضع آخر يرى « بستالوتزى » أن تقوم العلاقة بين المعلم وتلاميذه على أسس إنسانية مليئة بالمحبة والمودة والتعاون. وهو يقول لقد كنت لأطفالى كل شئ. كنت معهم من الصباح إلى المساء أيديهم فى يدى وعيونهم فى عينى.

كما يرى « بستالوتزى » أنه يجب أن يشترط فى المعلم (المربى) بعض الصفات المعينة. أهمها:

- يجب أن يكون المعلم رجلاً لطيفاً مرحاً محباً متفتح القلب.
- أن يعامل تلاميذه باعتبارهم أولاده.
- أن يكون المعلم ذا بصيرة ينفذ إلى ما يعتمل فى عقول الأطفال.
- أن يعرف المعلم حاجات الطفل ورغباته وقدراته.
- أن يعرف كيف يتصرف مع الأطفال فى ظروف معينة.

ومن هنا يتضح أن ما نادى به « بستالوتزى » من أهمية العطف والمحبة بين المعلم والطفل كان نتيجة للممارسات التربوية قبله والتى كانت تقوم على الاعتقاد بأن التعليم يتأتى عن طريق الخوف والفزع. يضاف إلى ذلك ما سعى إليه « بستالوتزى » من خلق جو لطيف مرح فى المدرسة. مع احترام الطفل.

أما « فروبل » فيفضل أن يكون معلم رياض الأطفال امرأة. حيث أنها أكثر معرفة بالطفل وحباً له وصبراً على حركته الدائمة. كما أنها تمثل الأم لدى الطفل الذى يأتى إلى الروضة وهو متعلق بأمه.

كما يؤكد « فروبل » على وجوبية عدم تدخل المعلم فى عملية التعليم والتدريب مباشرة، بل يجب أن يترك المجال للطفل لاكتشاف ما يستطيع اكتشافه من خبرات ومعارف جديدة، وأن يقوم بدور المفسر والمصحح لما قد يكتشفه الطفل بنفسه.

ويرى أنه يجب أن يعامل المعلم الطفل على أنه كائن يبتكر وينتج، لا على أنه شخص يستقبل ما يلقى إليه فقط. كما أنه لا يرغم الطفل على تعلم شئ لا تقبله فطرته ولا يتمشى مع طبيعته.

ويوصى بأن يكون المعلمون على قدر كاف فى فهم خصائص الأطفال النفسية حتى يستطيعون توجيه الطفل والإشراف عليه.

كما يتضح أن المعلم فى نظر الفلسفة الطبيعية يتمثل دوره فى أنه يقوم بدور الملاحظ والمشاهد والمحايد والموجه لنمو الطفل. كما أنه يبتعد عن الإيماءات والإشارات إليه بالمثل العليا، أو التعرض لنظريات الأخلاق. وإنما يتركه ينمو نمواً طبيعياً طبقاً لميوله ودوافعه وليس نتيجة لمجهود صناعى يقوم به المعلم. إذا وظيفة المعلم تتمثل فى توجيه النمو الطبيعى للطفل، أى أنه يجب أن يتبع مبادئ النمو الطبيعى، وألا يقوم المعلم بتدريس أو دفع الطفل نحو التعلم أو يجبر عليه.

المنهج من منظور الفلسفة الطبيعية :

ترى الفلسفة الطبيعية أن المنهج يتألف من مظاهر الطبيعة التى تقدم للطفل على شكل نظام طبيعى، ولذا فإنها ترفض أن يكون للأفكار التقليدية والمعارف التى يؤسسها المجتمع أية مكانة فى المنهج المدرسى. كما أنها تؤكد على الأنشطة والميول الناشئة عن طبيعة الأطفال الصغار أن يكون لها مكانة خاصة فى المنهج.

ولهذا فإن المنهج من منظور الفلسفة الطبيعية يهدف إلى: الكشف عن القوى الطبيعية للطفل وإظهارها لكى تطابق حاجاته الطبيعية.

ومن هذا المنطق فقد اقترح «روسو» منهجاً يتمشى مع مراحل النمو المختلفة وذلك على النحو التالى:

- ففى المرحلة الأولى من الميلاد حتى سن الثانية، يكون الاهتمام موجه فيها نحو حاجات الأطفال المادية والاجتماعية عن طريق سد احتياجاته الجسدية وأوصى بعدم الإفراط فى العناية بالطفل، وأيضاً عدم الإفراط فى إهماله.
- فى المرحلة الثانية وهى الطفولة من الثانية إلى الثانية عشرة، وفيها يجب أن يتخذ التعليم شكلاً سلبياً، أى أن يحمى قلب الطفل من الشرور. كما يحمى من فكرة الزلل، ولا تعطى دروس أخلاقية فى هذه المرحلة، بل يعطى مثال السلوك

الحسن بشكل محسوس، وتوضيح النتائج السيئة للسلوك السيئ كما لا تعطى دروس نظرية، كاللغات، والجغرافيا، والتاريخ، وأسلوب اللعب فى التعليم هو الأسلوب الذى يجب أن يتبع فى هذه المرحلة.

- فى المرحلة الثالثة مرحلة ما قبل المراهقة، وفى هذه المرحلة يجب الاهتمام بالعلوم، ويبدأ بالجغرافيا عن طريق اهتمام الطفل بمحيطه، وبالفلك عن طريق اهتمام الطفل بالشمس والسماء، وإلى جانب العلوم، يحبذ «روسو» قيام الطفل فى هذه المرحلة بتعليم حرفة النجارة، وذلك لتحريك فكرة وتدريب يده على المهارة فى العمل ولمساعدة الطفل على كسب العيش.
- فى المرحلة الرابعة، مرحلة المراهقة من الخامسة عشرة تبدأ التربية الحقيقية، ففى هذه المرحلة يجب تنشئة الشباب على حفظ شهواته وتنمية عواطفه الاجتماعية، وفى سن الثامنة عشرة يدرس حياة أبطال التاريخ الإنسانى، كما يدرس مبادئ الدين، وفى العشرين يدخل الشاب المجتمع ويتعلم الآداب الاجتماعية المطلوبة فى السلوك الاجتماعى عن طريق دراسة الآداب الرفيعة.

يتضح من ذلك أن المنهج المقترح الذى قدمه «روسو» قد اهتم بالتربية الجسمية والتمرينات المفيدة وذلك فى الخمس سنوات الأولى فى حياة الطفل وإتاحة الفرصة للطفل ليتعلم من الطبيعة، ويستمر فى هذا التعلم حتى سن الخامسة عشرة.

ومن الملاحظ أن «روسو» لم يضع هذا المنهج المقترح عشوائياً، وإنما على أسس وقواعد هامة يقوم عليها هذا المنهج يحددها بعض المربين على النحو التالى:

الاهتمام بالميول الحاضرة للطفل ومحاولة تربيته كإنسان، ومحاولة صبغ منهج تربيته بالصبغة التخصصية الضيقة لأن المنهج العام أكثر فعالية فى تحقيق شخصية متكاملة فى إعداد الفرد لحياة متطورة ومتغيرة، والرفع من قيمة العمل

اليـدوى والحـرف الشعبية باعتبارهـا أقـرب جميـع الأعمـال البشرية إلى الحالـة الطبيعيـة، والإيمـان بعـدم جـدوى التربيـة الدينيـة فـى فـترة الطفولـة وبـاز الجهـل بالإلهيـات فـى هـذه الفـترة خـير مـن تكـوين أفكـار خاطئـة عنهـا لا تليـق بجلالهـا، والإيمـان بـأن خـير دين يمكـن أن يوجـه إليـه الطفـل عنـدما يكـون مستعداً للتربيـة الدينيـة هـو الـدين الطبيعـى، ورغـم أن المـنهج الـذى اقترحـه « روسـو » يختلـف فـى طبيعتـه ومحتـواه مـن مرحلـة إلى أخـرى إلا أنـه يتميـز بالعديـد مـن المميـزات والتـى حددها بعض المربين على النحو التالى:

- الاعتمـاد على الخبرة والتجربة الشخصية فى التعليم والتهذيب، والإيمـان بـأن الطفـل لا يـتعلم إلا مـا يكتسبه ويكتشفه بتجربتـه ولا يحمـل فـى ذهنـه مـن المعلومـات إلا مـا يقـدر علـى حملـه فعـلاً، والإيمـان بجـدوى الأعمـال اليدويـة، والتمرينات البدنية لتقوية الروح المعنوية واعتدال المزاج والصحة، والإيمان بأن الاعتدال والعمل هما الطبيبـان الأوحدان الحقيقيـان للإنسان، فالعمل يشحذ شهيته، والاعتدال يعصمه من الإفراط فيها.
- عدم الإيمان بجدوى الكتاب، لاسيما فى مرحلة الطفولة، لأن القراءة المبكرة فى الكتب من شأنها أن تضيق أفق الطفل وتستبعد عقله وتجعله يردد أشياء لا يفهم لها معنى ويحول بينه وبين تدريب ملكة الحكم لديه، وفى هذا الشأن قال « روسو» لا ينبغى أن يكون هناك كتاب لدى الفتى غير كتاب الدنيا من حوله، ولا ينبغى أن يكون هناك تعليم أو إرشاد إلا مـا تلقنه إياه الحوادث والوقائع، إن الطفل الذى يقرأ لا يفكر فهو يقرأ فحسب، إنه لا يتعلم حقاً، بل هو يحفظ ألفاظا فحسب.

وقال فى موضع آخر أن الكتب ضارة لأنها تعلمه أن يخوض بالكلام فيما لا يعرف.

- عدم الاستعاضة مطلقاً بالرمز عن الشئ ذاته إلا عند استحالة الدراسة على الطبيعة لأن الرمز يستغرق انتباه الطفل وينسبه المرموز إليه.
- الإيمان بعدم جدوى دراسة اللغات والتاريخ. فيقول « روسو » بالنسبة لدراسة اللغات وقد يدهشكم أنى أعتبر دراسة اللغات من بين تلك المواد التى لا نفع فيها للطفل ولكن تذكروا أنى لا أتكلم إلا عن دراسات فترة الطفولة الأولى، ومهما قيل فى هذا الشأن لا أعتقد أنه إلى سن الثانية عشرة أو الخامسة عشرة يمكن لأى طفل أن يتعلم لغتين تعلماً حقيقياً اللهم إلا إذا كان عبقريا.

ومن هنا يتضح أن « روسو » كان يهدف من وراء المنهج المقترح هدفاً سامياً وهو إعداد الطفل للحياة الإنسانية فى نشاطها العام ووظائفها الأساسية.

أما المنهج عند « سبنسر » فإنه يرى أن المنهج الصالح من وجهة نظره، هو الذى له قيمة نفعية، ويعد التلميذ للحياة الكاملة، والتى تعتبر من وجهة نظره هدفاً أعلى للتربية، ولذلك فإنه رتب مواد المنهج وخبراته فى ضوء الأهمية لأوجه نشاط الحياة والأهداف التربوية. فأهم مواد المنهج وخبراته هى التى تهتم بالمحافظة على الحياة وبصحة الجسم وسلامته، وتحتل المقام الأول فى المنهج. أما الدراسات الأدبية والفنية التى تساعد على تهذيب الذوق الفنى وتنمية الهوايات التى تنفع فى تقضية وقت الفراغ توضع فى أسفل قائمة المنهج وخبراته. وبينهما توضع بقية مواد المنهج وخبراته مرتبة فى أهميتها حسب الترتيب الذى سار عليه فى ترتيب أنشطة الحياة والأهداف التربوية.

أما بالنسبة للمنهج عند « بستالوتزى » فمن الملاحظ أن: المنهج عنده يختلف طبقاً لخصائص نمو الطفل وحاجاته ويقابل مراحل النمو المختلفة للطفل، ومن الملاحظ أن « بستالوتزى » يرى أن مناهج ومواد الدراسة الخاصة بالطفولة، أن تكون مرتبطة بالأشياء المحسوسة والخبرات لحسية، فالطفل عن طريق إحساسه

المباشر بالأشياء والإدراك الحسى بأشكالها يكون بعض الأفكار عن خصائصها وصفاتها، وبالتالى ينمى ثروته اللغوية كما أن الطفل عن طريق ملاحظته للأشياء والتعامل بالأشكال المجسمة المحسوسة تنمو لديه قدرة القياس التى تعد أساساً لتعليمه الحساب والهندسة والرسم. ولهذا فإن « بستالوتزى » يرى أن منهج التعليم يجب أن يؤكد على ثلاثة عناصر رئيسية وهى: العدد والشكل، والكلمة، وهذه العناصر يدور حولها منهج التربية العقلية.

يتضح من ذلك أن « بستالوتزى » كان يربط العملية التعليمية وجميع مواد المنهج الدراسى وخاصة فى السنوات الأولى من التعليم بالأشياء المحسوسة والخبرات الحسية.

وانطلاقاً من ذلك يمكن القول أن « بستالوتزى » يرى أن هناك مجموعة من القواعد والأسس، التى يقوم عليها المنهج، حددها بعض المربين على النحو التالى: الإيمان بأن المناهج والبرامج والنشاطات الدراسية، يجب أن تكون مساعدة على تنمية العقل والجسم والروح، كما يجب أن تكون متمشية مع خصائص الطفل وحاجاته، ونادى بتصنيف المناهج الدراسية إلى مراحل تقابل مراحل النمو التى يمر بها الطفل فى حياته. كما نادى بأن تركيب المواد الدراسية يجب أن يتمشى مع تركيب ظهور قوى الطفل، ومع درجة نمو هذه القوى فى كل فترة، كما نادى بأن يراعى فى هذا التركيب الانتقال من البسيط إلى المركب، ومن الأسهل إلى الأصعب، ومن المحسوس إلى المعقول، ومن الخاص إلى العام.

أما بالنسبة للمنهج عند « فروبل » فيرى بعض المربين أنها كانت موجهة نحو تحقيق أغراض التربية المتمثلة فى مساعدة الطفل على إظهار شخصيته وإبراز قدراته الذاتية واكتشاف العالم المحيط به وخاصة العالم الطبيعى، ومساعدته فى

النهاية على إدراك وحدة العالم المحيط به إدراكاً يقوم على معرفة العلاقات التى تربط بين الأشياء.

ولهذا فإن الباحث فى الأدب التربوى يلاحظ أن « فروبل » اقترح منهجاً لتربية الطفل وهذا المنهج المقترح يتكون من أنشطة الأطفال والألعاب المقتبسة والخبرات الناتجة عن التعامل مع الأشياء المحسوسة والطبيعية. وبذلك فإنه يمكن القول أنه أكد على التعليم الحسى، كما أن أنشطة الطفل تحتل مكانة هامة فى المنهج، ولهذا فإنه وضع شروطاً لها حددها البعض على النحو التالى:

- أن تكون الأنشطة نابعة من دوافع الأطفال ورغباتهم وحاجاتهم الداخلية.
- أن تكون الأنشطة ذات قيمة إبداعية تساعد الطفل على تنمية روح الإبداع.
- أن تكون ذات قيمة تعبيرية، بمعنى أنها تساعد الطفل على التعبير عن نفسه.
- أن تكون الأنشطة ذات قيمة أخلاقية، بمعنى أنها تساعد الطفل على تكوين خلقه.
- أن تكون الأنشطة ذات قيمة اجتماعية، بمعنى أنها تعمل على تعويد الطفل على التعاون وخدمة المجتمع.
- أن تكون الأنشطة ذات قيمة فى تربية القوى الجسمية والعقلية، وتعمل على تحقيق الاستقرار النفسى.

فمن الواضح أن « فروبل » وجه كل اهتمامه إلى تربية الحواس عند الطفل التى هى أبواب العقل، إذ تصل منها المعلومات وهى الوسيط بين الكون الذى يعيش فيه، ومن أجل تحقيق ذلك، أعد « فروبل » الهدايا والأشغال التى تدرب حواس الطفل على استقبال المعرفة وتناسب سنهم.

كما أعطى أهمية خاصة للرسم، واعتبر « فروبل » الرسم ضرورى لحياة الطفل، ولا يقل أهمية عن اللعبة، لأنه يرى أن كفاءة الرسم تكون فطرية مثل كفاءة الحديث، وبالتالى ينبغى تطويرها وتهذيبها، وأن تمرين الطفل للنشاط

الإبداعى المعبر عن إحساسه فى الرسم يعتبر نقطة البداية والمركز الدائم للتربية الصحيحة الكاملة.

ويرى « فروبل » أن المواد الدراسية يجب أن تبنى على أساس فكرة الترابط والاستمرار لكى تقابل ترابط واستمرار مراحل النمو وذلك بأن تبنى كل مادة دراسية على أساس المواد الأخرى السابقة لها فى تتابع يتمشى مع مراحل نمو الطفل.

من هنا يتضح أن البرنامج التربوى لطفل الروضة عند «فروبل» يتضمن الآتى:

- اللعب باعتباره نشاط تلقائى طبيعى للطفل، ويمكن الاستفادة منه كوسيلة لإعداد الطفل لمواجهة متطلبات الحياة فى المستقبل، وذلك من خلال تدريبه على الالتزام بقوانين اللعب الجماعى واحترام النظام، والتعاون مع الآخرين.
- الأغانى والأناشيد، والقصص، حيث إن استماع الطفل للقصص ينمى عقله ويوقظ اهتمامه بالماضى وإحساسه بالزمن ولذلك لها قيمة تربوية وتعليمية.
- الرحلات والزيارات ومشاهدة مظاهر الطبيعة، هذا بالإضافة إلى الخبرات التربوية التى تتضمن المناقشات والمحادثات والتمثيليات المتنوعة فى ظل بيئة اجتماعية تساعد على تحقيق النمو السليم لجوانب شخصية الطفل من جميع النواحى، الرسم والتصوير لمضامين البيئة المحيطة، حيث إن الرسم يعمل على تعليم التفكير، فالطفل عندما يقوم بالرسم يعبر عن نفسه عن طريق ما يرسمه، يحاول إثبات ما قد وهب من قدرة خاصة به، يعبر عن الإرادة التى يمتلكها بالكلام والأعمال، ينمى استعداداته الابتكارية ويثبت حقيقة هذه الاستعدادات، يعتمد على بديهيته فى ملاحظة قوانين الخلق والحياة البسيطة، يصل إلى معلومات حقيقية عن نفسه.

يتضح من ذلك أن المنهج فى الفلسفة الطبيعية يتسم بالسمات الرئيسية التالية:

- أنه يؤكد على التربية الجسمية والصحية.
- أنه يقوم على طبيعة الطفل واهتماماته.

- أنه يؤكد على المقررات التى تساعد على الوقاية الذاتية.
- أنه يؤكد على العلوم الأساسية.

طريقة التدريس:

من القضايا التى أولتها الفلسفة الطبيعية اهتماماً واضحاً طريقة التدريس، ويتضح ذلك من آراء بعض روادها، فيرى «روسو» أن هناك بعض الأسس والأساليب التى تقوم عليها طريقته رغم اختلافها من مرحلة إلى مرحلة أخرى، ومن أهمها:

- الإيمان بأن التربية الحقة تتم عن طريق الخبرة والممارسة أكثر منها عن طريق التلقين اللفظى.
- ضرورة الانتقال من المادى المحسوس إلى المعنوى المجرد.
- عدم الاستعاضة بالرمز عن الشئ ذاته إلا عند استحالة الدراسة على رؤية الشئ، وتعويد الطفل على الصبر والتقشف والاعتماد على النفس وتحمل الألم.
- ربط عملية التربية بحاجات الطفل وميوله الحاضرة واحترام فرديته.
- معاملة الطفل فى حدود سنه، وعدم إرهاقه بما يجاوز طاقته وعدم تدليله، وفى الوقت نفسه عدم إزلاله، وكبت حريته، وعدم تلبية كل رغباته بل المعقول منها فقط.
- استخدام القانون الطبيعى فى تدريب الطفل الخلقى بجعله يتحمل النتائج الطبيعية لإعماله دون تدخل من أى إنسان ليقوم بعملية الدفاع أو بعملية العقاب.
- عدم تعليم الطفل أى شئ إلا بعد ظهور الحاجة والاستعداد إليه.

أما بالنسبة لطرق التدريس عند «بستالوتزى» فمن الملاحظ أن فلسفة التدريس عنده تقوم على مبدأ تحليل المعرفة، حتى يستطيع الأطفال أن يفهموا ويتعرفوا على ما يحيط بهم، ويكون ذلك فى نظام وخطوات تؤدى كل خطوة منها إلى الخطى الأخرى حتى تتمشى الحقائق تمشياً منطقياً متدرجاً، وبهذا يتعلم الأطفال على مهل، كما أنهم يتعلمون بأنفسهم ويحصلون على الحقائق بأنفسهم،

وبذلك تقوى ملاحظاتهم وتدرب تدريباً عملياً صحيحاً ويستطيعون استنباط النتائج من التجارب.

ومن المبادئ التى تقوم عليها طريقته العامة فى التدريس، الإيمان بوجوب البدء بالمدركات الحسية، والانتقال من المحسوس إلى المجرد، ومن البسيط إلى المركب، ومن العام إلى الخاص، ومن المجمل إلى المفصل، ومن المعلوم إلى المجهول.

وفى ضوء هذه الفلسفة أوصى «بستالوتزى» بطرق التدريس التالية:

- يجب أن يعرف الطفل كيف يتكلم قبل أن يتعلم القراءة.
- يجب أن يستعان بوسائل إيضاح فى تعلم الحروف، كما يجب أن يرسم الطفل قبل أن يكتب.
- يجب أن يراعى النمو الطبيعى فى دراسة اللغة، فتدرس الأسماء أولاً ثم الصفات، وأخيراً الجمل.
- يجب أن يستعان بالأشياء المادية المحسوسة لتعليم مبادئ الحساب أو على الأقل بخطوط ترسم على السبورة، كما يجب فى معلم الأحيان اللجوء إلى الحساب الشفوى.
- لم يكن هناك كتاب أو دفتر فى المدارس حيث كان الأفراد يتعلمون عن طريق تطبيق المنهج الطبيعى الذى ينتقل فيه المتعلم من الإحساسات والأشياء إلى المعانى المجردة والذى يعتمد على الدراسة العلمية الواقعية فى الحقول وأثناء النزهات.

يتضح من ذلك أن «بستالوتزى» وضع طرق تدريس جديدة مبنية على مبادئ جديدة، جعل التجريب قاعدة العمل التربوى بدلاً من التقليد، كما أوضح أن مشكلة التربية بكاملها يجب أن تعالج من وجهة نظر الطفل نفسه.

كما يرى «بستالوتزى» أن طرق التدريس تتم بالأساليب التالية:

- القدوة الصالحة- المشاركة الوجدانية بين المدرس والطفل.

- الملاحظة والتجربة العملية والممارسة، وضرب الأمثال مما ساعد على نجاح الأداء، التشويق لاستجلاء مظاهر الطبيعة والاعتماد على الحواس.

ومن الملاحظ أن طرق التدريس سالفة الذكر، والتى أوصى بها « بستالوتزى » إنها كانت مجموعة من المبادئ التى أكد عليها والتى تتمثل فى:

- الحدث الحسى هو أساس التعلم.
- يجب أن ترتبط اللغة بالحدس الحسى.
- ينبغى أن يبدأ التعليم فى كل فرع من فروعه بأبسط عناصره، وأن يتقدم تدريجياً مسايراً نمو الطفل وتطوره، أى يجب أن يتدرج بخطى موازية لمراحل نفسية الطفل.
- يجب أن يمكث الطفل طويلاً عند كل جزء من أجزاء المعرفة حتى يسيطر عليه سيطرة تامة.
- ينبغى أن يكون التعليم تابعاً لنظام النمو الطبيعى.
- أن فردية الطفل مقدسة.
- ليست الغاية الرئيسية من التعليم الابتدائى جعل الطفل يحصل على المعرفة والمواهب، بل زيادة قواه العقلية وتنميتها.
- يجب أن تقترن القدرة العلمية بالحكمة والمعرفة، أى أن تقترن المهارة العلمية بالقدرة النظرية.
- يجب أن تقوم علاقة الطفل بمعلمه على أساس المحبة.
- يجب أن يتبع كل فرع من فروع التعليم للهدف الأسمى من التربية.

أمـا « هربـرت سبنسـر » فقـد سـار فـى الخـط الـذى سـار فيـه « روسـو » و« بستالوتزى » فقد نادى بمراعاة المبادئ التالية فى طرق التدريس. وهى:

- السير من البسيط إلى المركب.
- السير من الغامض إلى المحدد.

- السير من المحسوس إلى المعنوى.
- السير من العملى إلى النظرى ومن مستوى الخبرة العملية إلى التفكير العقى.
- ضرورة جعل العملية التربوية عملية سارة تتم فى جو طبيعى خال من التوتر والإجهاد ومريح من الناحية الجسمية والنفسية.
- تشجيع وتعويد التلاميذ على الاعتماد على النفس، وتشجيعهم على الاكتشاف لأنفسهم وتدريبهم على الملاحظة المستمرة.
- ضرورة إعطاء التلميذ أكبر قدر من الحرية،وعدم اللجوء إلا فى الحالات الضرورية إلى العقاب، وحتى عند اللجوء إلى العقاب يجب أن يتم فى جو خال من الغضب والحقد وروح الانتقام وأن يكون من نوع الجزاء الطبيعى.
- ضرورة استغلال النشاط الذاتى للتلميذ واحترام ميوله وجعله يتعلم عن طريق خبرته وعدم اللجوء بقدر الإمكان إلى طرق التسميع التقليدية، والتقليل بقدر الامكان من الطرق الاخبارية التى تجعل التلميذ فى موقف سلبى.
- يجب أن يرتبط اكتساب المعرفة بالتدريب على طرق استخدامها وتنظيمها.
- يجب أن تسير تربية الطفل فى نفس النمط والتنظيم الذى تسير فيه تربية الجنس البشرى.

والواضح من هذه المبادئ أن سبنسر يتفق فى رؤيته إلى حد كبير مع مبادئ التربية الحديثة التى نادى به « جون ديوى » .

يتضح مما سبق أن الفلسفة الطبيعية اعتبرت الطفل هو المركز الأسمى لجميع العمليات التربوية وأنه يجب أن تحدد أساليب التربية طبقاً لطبيعة الطفل ونموه.

ويقصد من طبيعة الطفل هنا كل ما لديه من غرائز وميول كامنة، كما أنه من الملاحظ أن الفلسفة الطبيعية وضعت بعض مبادئ طرق التدريس الحديثة وهى مبدأ النمو، مبدأ النشاط الذاتى للمتعلم، مبدأ الفروق الفردية فى التعلم.

كما أن الفلسفة الطبيعية أكدت على التعلم عن طريق العمل، التعلم من خلال التجربة، الخبرة، التعلم من خلال الملاحظة.

وإنطلاقاً من ذلك يمكن القول أن طرق التدريس طبقاً للفلسفة الطبيعية تقوم على مجموعة من المبادئ الأساسية الهامة أهمها:

- مبدأ الحرية الموجهة والاختيار بدلاً من القسر والمحاكاة، والتقليد لرغبات الكبار.
- مبدأ التعلم عن طريق الخبرة والعمل والحياة النشطة.
- مبدأ التطبيق العملى لكل معرفة يتحصل عليها الأطفال.
- مبدأ الاعتماد على الميول والدوافع الداخلية للطفل فى تشجيعه على التعلم بدلاً من اللجوء إلى الحوافز والرغبات الخارجية أو إلى الجبر على التعلم واستخدام الشدة والقوة.
- مبدأ الإعلاء من شأن اللعب واستخدامه لتحقيق أغراض تربوية نافعة.
- مبدأ ربط المنهج بخبرات الطفل.
- مبدأ الوحدة والتكامل فى الخبرة والنشاط التربوى لأن الحقائق المتفرقة ليست عنده معرفة ولا تصل إلى درجة المعرفة إلا بعد تنظيمها والربط بينها.
- مبدأ الاعتقاد بأن كل انطباع حاسى يجب أن يقابله تعبير حركى.
- مبدأ الأخذ والعطاء والتفاعل بين المعلم والطفل، بدلاً من الإيجابية المطلقة أو السلبية المطلقة التى تقوم عليها بعض طرق التربية.
- مبدأ التدرج فى عرض الخبرات.

الثواب والعقاب من منظور الفلسفة الطبيعية:

من الملاحظ أن الفلسفة الطبيعية آمنت بقضية الثواب والعقاب، وقد رفضت الفلسفة الطبيعية التضييق على الطفل لأنه يؤدى إلى ضرر بالغ بمواهبه واستعداداته.

كما ترفض الفلسفة الطبيعية العقاب الجسمى للطفل وتأنيبه، ولهذا يرى البعض أن الفلسفة الطبيعية أكدت على مبدأ العقاب الطبيعى، ويقصد به أن

يترك الطفل يعانى ما يترتب على أفعاله من نتائج ضارة وذلك بدلاً من اللجوء إلى طريق التوبيخ والعقوبة البدنية لحفظ لنظام المدرسى.

ويؤكد ذلك ما نادى به « روسو» من إقامة النظام المدرسى على أسس جديدة. فبدلاً من محاولة السيطرة على سلوك المتعلم عن طريق التوبيخ والعقوبة البدنية أو الثواب والمديح. فإنه يترك الطفل يعانى ما يترتب على أفعاله من نتائج ضارة.

ومن هذا المنطلق نادى « روسو » بعدم إصدار الأوامر للأطفال لما يترتب عليه من آثار ضارة ويؤكد ذلك ما يراه البعض. أن « روسو » يرى أن يقلل بقدر المستطاع من الأوامر والنواهى التى يصدرها الكبار للأطفال لأن كثرتها تميت شعور الطفل ولا تدفعه إلى التفكير لأنه يصبح آلة فى يد غيره. ولذلك فهو يرى أن يتعود الطفل السلوك دون سلطة خارجية مقيدة عن الخطأ. إذ أن معنى هذه السلطة أنه يعمل خوفاً من عقاب ولا يفكر فى إرضاء ضميره أمام الله والإنسانية وإنما يسلك ما يسلك لإرضاء غيره.

أن « روسو » يرى عدم معاقبة الطفل قبل أن تتكون لديه مفاهيم عن الخطأ والصواب وأسباب العقاب.